معيارية القفلة بقصيدة النثر، بَيْنَ اللافت واللائث

المناضل الشيخ عز الدين القسام ومشواره الطويل.. في ذكرى استشهاده

تخاريف نهضوية!

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1850» الأحد 2024/1/21م - 9 رجب 1445هـ — 200 ل.س

لوحة للفنان التشكيلي سلمان منيتي

لوحة للفنان التشكيلي محمود الجوابرة

الافتتاحية

كتبها: د. محمد الحوراني

عبد الفتّاح روّاس قلعة جي.. بعيداً عن ثُنائيّةِ القلقِ المُؤلِمَة

يَعِزُّ علينا، ويُعزِّينا في الوقت نفسه، أن نلتقيَ اليومَ لنَسْتَذْكرَ بكثيرٍ من الأسى والمَحبّة الفائقة والتقديرِ الوافرِ قَبَساً منْ سيرةِ زميلٍ عزيزٍ، وصديقٍ وفيٍّ، وأستاذٍ كبيرٍ، ورائدٍ من رُوّادِ الحركة المسرحيّة، الباحثِ النّاقدِ والأديبِ الأريبِ عبدِ الفتّاح روّاس قلعة جي، أحدِ أهمِّ أعمدةِ المسرحِ العربيِّ والمُنقِّبينَ في جماليّاته، السَّابرينَ أغوارَ بداياته الأولى، ليُتْحِفَ عُشّاقَ المسرحِ ومُريدي الفنِّ الحقيقيِّ بتسعينَ مسرحيةً، إضافةً إلى مُؤلّفاته المُتنوّعة في التُّراث والدّراسات النقديّة والإبداعات الأدبية المختلفة، مُعتمداً في ذلك على حقائقَ تاريخيةٍ، تَعامَلَ معَها بإحساسِ الطبيبِ وبراعةِ الأديبِ، واستفادَ منها بكُلِّ مصداقيّةٍ، من غيرِ تحريفٍ أو تَشْويهٍ، مُتَّكِئاً في هذا على كُتبِ التاريخِ والتُّراث والفلسفة والفكْر، ولأنّهُ كذلكَ فقد غدا المُثقَّفَ الأصيلَ والمسرحيَّ الرَّصينَ رَصانةَ حلبَ، مدينة الأصالة والانتماء والوطنية الباذخة، بعدَ أنْ سَحَرَنا بمضمونِ أعماله المسرحيّة، وأسَرَنا بشاعريّة لُغته، وتقْنيَّة البناء المشهديِّ المُتعدِّد، ونَقْده اللاذع لواقعِ الإنسانِ المَهيض، الذي شَغَلَ بالَ أديبنا الراحلِ وأدبَهُ ومسرحَهُ، مُحاولاً تخليصَهُ من عذاباته.

نعم، لقد أثرى الأديبُ والمسرحيُّ عبدُ الفتّاح قلعة جي المعارفَ والحركةَ المسرحيةَ بتوثيقه الرِّيادات المسرحيةَ في حلبَ بعددٍ من مُؤلّفاته، الّتي تضمّنتْ توثيقَ الحياة الثقافيَّة والفنيَّة في القرن التاسعَ عَشَرَ، حتّى مُنتصَفِ القرنِ العشرينَ، مُتحدِّثاً بطريقةٍ غيرِ مسبوقةٍ عن الحياة الثقافية والفنّية في عصرِ مُؤلِّفِ مسرحيةِ "بريجيت" (يُوسُف نعمة الله جد)، ليَضَعَهُ وَسْطَ مُحيطه الثقافيِّ الحلبيِّ، وفي مكانه الطبيعيِّ من الرِّيادة المسرحيّة.

نذكرُ ذلكَ لنُؤكّدَ أنّ فقيدَنا الكبيرَ لم يُدوِّنْ هذه المعارفَ إلّا لنستفيدَ من مكانة حلبَ التاريخيَّة في الثقافة عُموماً، وفي المسرح خصوصاً، وهو لم يَذْكُرْ ذلكَ عَبَثاً، بل أرادَ أن يَحُضَّنا على مُواصلة ما قدَّمَهُ الأوَّلُونَ المُقدَّرُونَ لننهضَ بالواقعِ، ونُعيدَ إلى المسرحِ ألقَهُ البهيَّ، اعتماداً على بهاءِ ميراثنا وإرث الآباء المُؤسِّسين.

إنَّنا لَيَقَعُ على عاتقنا التذكيرُ دائماً بقيمة المُثقَّف إنساناً ومُبدعاً، وأن يبقى في الذاكرة حاضراً ومُلهماً، باحتساب أعلام الأُمّة، وهُمْ رُوَّادُها الأفاضلُ، وتاريخُها المعرفيُّ والثّقافيُّ، إيماناً واعترافاً بأنَّ قيمةَ ما أبدَعُوهُ، وخَلَّفُوهُ للأجيال المُتعاقبة يبقى المنارةَ والنِّبراسَ، اللَّذَين يُضيئان فكْرَنا وثقافتَنا، كيفَ لا، وأعلامُ الأُمَّة هُمُ التاريخُ الحقيقيُّ المُتوهِّجُ بضياء الحقِّ والمعرفة والاستلْهام المُطلَق لسيرة الوطن والأمّة أمامَ كائنات كينونة الحياة والأُمَم والزَّمَن؟

ستبقى سيرتُكَ الأدبيةُ وعطاؤُكَ الإبداعيُّ والمسرحيُّ قِبْلةً لكلِّ باحث حقيقيٍّ عن الثقافة الناهضة على أُسُس قويمة منَ العلم والفكْر والتُّراث النَّهْضَويِّ التنويريِّ، وهو ما يَكْفُلُ لكَ أبديّةَ الحُضور، يا أبا ياسر، بعدَ أن سَبَرْتَ أغوارَ الحياة والموت وما بعدَ الموت، وآثَرْتَ الغَوْصَ في أغوار النَّفْس الإنسانية ومَصائر البشرية، مُحاولاً تخليصَها منْ أنطولوجيا الشَّرِّ المُمْسكة بها بنَثْرِكَ بُذورَ الحُبِّ بصفته التِّرْياقَ لكلِّ أوجاعنا.

لكَ الرحمةُ والمكانةُ الرفيعةُ ما دامَتْ حُروفُنا نابضةً بصِدْقِ الكلمات.

المناضل الشيخ عز الدين القسام ومشواره الطويل.. في ذكرى استشهاده

كتب: رشيد موعد

حينما يمتزج الدم السوري مع الدم الفلسطيني على تراب أرض مقدسة لتحريرها من رجس الاستعمار تتلاقى أيضاً الشهادة بالشهداء على أرض فلسطين أيضاً.

من جبلة.. جاء البطل محمد عز الدين القسام ليشاطر إخوته المناضلين ضد الاستعمار في فلسطين.

ولد المناضل الشهيد عز الدين القسام في مدينة جبلة الساحلية السورية عام ١٨٨٢ م، وقد أرسله والده إلى مصر ليكون طالباً للعلم في الجامع الأزهر عام ١٨٩٦ وكان الشيخ القسام في رحلة العلم هذه التي استمرت ما يقرب من عشر سنوات قد تجاوب مع الأفكار الثائرة التي تحضّ على التمسك بروح النضال والجهاد وتندد بالاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والتخلف العلمي والاستعمار الغربي.

وعندما عاد الشيخ القسام من رحلة العلم إلى بلدته جبلة عمل معلماً في سلك التعليم للقضاء على الأمية لدى الصغار والكبار كما كان خطيباً لجامع المنصوري، وكان يجمع الناس حوله من خلال خطاباته الواعية والمدروسة التي تلامس قلوب الناس وعقولهم وكان الشيخ مقرباً من الفلاحين والعمال والفقراء، يزورهم في بيوتهم المتواضعة، يجلس إلى موائدهم البسيطة، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم.

عام ١٩١١ قاد أول مظاهرة في بلدته (جبلة) ضد بريطانيا رداً على احتلالها لمدينة (طرابلس الغرب) وكان قد التقى ٢٥٠ متطوعاً وقام بجمع الأموال لأسرهم ليذهبوا للقتال ضد الإيطاليين في ليبيا عبر ميناء (الإسكندرون) لكنهم انتظروا السفينة التي يجب أن تقلّهم طويلاً، ولم تأت، فعاد بالمتطوعين إلى (جبلة) وقام ببناء مدرسة بالمال الذي كان قد جمعه.

وعند احتلال الفرنسيين للساحل السوري عام ١٩١٨ نادى الشيخ القسام بالجهاد والثورة على الفرنسيين، فباع بيته الذي لا يملك سواه واشترى بثمنه ٢٤ بندقية لمقاتلة الفرنسيين، حينها بدأ هؤلاء بمطاردته، وحينما أخفقوا بالقبض عليه، حكموا عليه بالإعدام غيابياً، وفي أواخر عام ١٩٢٠ م ذهب الشيخ عز الدين القسام ومجموعة من إخوانه المجاهدين إلى بيروت ومن هناك ذهب إلى حيفا ليصبح الشيخ القسام إمام جامع الاستقلال وخطيبه، وبعدها انتخب رئيساً لجمعية الشباب المسلمين في حيفا، حيث كانت هذه الجمعية منبراً له ليُعلم من خلالها أبناء القرى العلوم الدينية إضافة إلى بث روح العزة والكرامة والإباء في نفوسهم ويعلمهم كيف يدافعون عن أنفسهم وأرضهم ودينهم ضد المحتلين الإنكليز والمستوطنين الصهاينة، وكان يختار مساعديه ممن يتوسم فيهم الصدق والإخلاص وحب التضحية.

وهكذا استمر خمسة عشر عاماً يخطب ويحاضر ويحث على التضحية والبذل والجود بالروح والمال، وكان يشتري السلاح سراً ويُدرب عليه أتباعه، ثم يأمر زملاءه بتدريب من يرون أهلاً لحفظ السر والكتمان على السلاح والقتال ويطلب ممن يلقاهم من أصحاب الحمية والدين باقتناء السلاح تمهيداً للقيام بثورة حدد لها أهدافاً ثلاثة هي:

- أولاً: تحرير فلسطين من الاستعمار الإنكليزي الذي وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين وسمح بهجرة اليهود إليها.

- ثانياً: الحيلولة دون تحقيق آمال اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وإنشاء دولة يهودية على أرضها.

- ثالثاً: إقامة دولة عربية في فلسطين تكون نواة لدولة الوحدة التي تجمع العرب والمسلمين وكان شعاره في حركته هذه (نضال – نصر – أو استشهاد)، وهذا الشعار يردده أتباعه في حيفا وما حولها.

الشيخ القسّام عمل بسرّية تامة وتكتم شديد، ولم يُطلع على خطته إلا المقربين الذين كانوا يخططون معه للعمليات التي ينفذونها ضد معسكرات الإنكليز ومستوطنات اليهود القادمين من الخارج.

كانت عيون الإنكليز واليهود مفتوحة على الشعب ثم تركزت على الشيخ عز الدين وقد استدعته سلطة الاحتلال الإنكليزي وحققت معه.

لما عرف الشيخ أن وضعه قد انكشف، وعرف أعداؤه بعض ما قام به، خرج مع أعوانه إلى جبل جنين يدعو الفلاحين إلى الثورة وتدريبهم على حمل السلاح ليواجه الإنكليز واليهود معاً.

وقبل أن يتحرك الشيخ عز الدين القسام وأعوانه لتنفيذ ما اتفقوا عليه، كشفت سلطات الاحتلال مكانه، فحشدت أكثر من ١٥٠ عنصراً بريطانياً وحاصرته في أحراش بلدة (يَعْبُد) صباح ١٩٣٥/١١/٢٠، وكان بإمكان الشيخ وإخوانه أن يغادروا المكان بسلام، ولكنه أبى الفرار من المعركة التي فُرضت عليه، وقرر خوض المعركة ومواجهة الأعداء مع علمه بأنها خاسرة لأنها غير متكافئة من حيث العدد والتدريب والمكان، فقد كان الشيخ وإخوانه المناضلون في قعر الوادي، بينما كان المهاجمون الأعداء الذين يحاصرونه في الجبل.

الضابط الإنكليزي الذي قاد الحملة كان يصطحب معه أعداداً من الشرطة العرب وضعهم في المقدمة في ثلاثة صفوف، وقال لهم إنهم يهاجمون أشخاصاً خارجين على القانون حيث غرر بهم.. وهم لا يعرفون أنهم يحاربون الشخص الذي يحبونه وهو الشيخ القسام.. إلى أن أُحيط بالشيخ عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين فطلب قائد الحملة الإنكليزي من الشيخ أن يستسلم هو وإخوانه لينجوا هو ومن معه من الموت المحتم، فكانت عبارة الشيخ الشهيرة هي الرَّد على ذلك حين قال للقائد الإنكليزي:

(جئنا هنا للنضال والجهاد، ومن كان هذا جهاده لا يستسلم لغير الله).

عندها عرف الإنكليز أن الشيخ القسام اختار القتال، فأمطروه بوابل من القذائف والرصاص حتى استشهد يوم ١٩٣٥/١١/٢٠ ومن معه في أحراش بلدة يَعبُد قضاء جنين الفلسطينية.

وهكذا سجل التاريخ سطوراً مشرقة في النضال من حياة قائد هاجر إلى بلد أحبه ومات فيه.

متحف الهولوكوست الفلسطيني

كتب: د. لبيب قمحاوي

من سخريات القدر أن مَنْ قاسى على يد النازية من عملية الابادة الجماعية بأشكالها المختلفة فيما أصبح يدعى لاحقاً بالهولوكوست اليهودي، فقدُ قيِّضَ له أن يقوم خلال ثلاثين يوماً بما قام به النازيون نسبياً على مدى سنوات وأدى بوحشيته وقسوته خلال الثلاثين يوماً المذكورة إلى قتل ما يزيد على عشرة آلاف فلسطيني منهم ما يزيد على أربعة آلاف طفل عدا القتلى الذين لم يتم استخراج جثثهم من تحت الأنقاض حتى كتابة هذا المقال.

ما فعله النازيون ضد اليهود وقد فعلوه بالسر لفظاعته ويطلق عليه الآن الهولوكوست اليهودي، وما فعله اليهود الإسرائيليون بحق الفلسطينيين من أعمال قتل وتدمير في إقليم غزة وهو أمر يتم يومياً وعلناً يجب وبالمقياس نفسه أن يُطْلَق عليه «الهولوكوست الفلسطيني»، الجريمة نفسها مع وجود اختلاف واحد هو أن المقتول في الحالة الأولى هو القاتل في الحالة الثانية وهم اليهود والضحية الآن هم الفلسطينيون.

محطات دموية قذرة في التاريخ الإنساني المعاصر تتطلب إعادة النظر جدياً بالمنظومة الأخلاقية الإنسانية التي ابتدأت تفقد دورها كبوصلة لما هو صحيح ومقبول مقابل ما هو خطأ ومرفوض، خصوصاً بعد ما أبدته أمريكا ودول أوروبا الغربية من تأييد مفتوح لعملية الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني باعتبارها تجسيداً لحق إسرائيل المزعوم في الدفاع عن نفسها، وعلى هذا الأساس يصبح من المهم إبقاء ذكرى هذه المحطات الدموية والسوداء في تاريخ الشعوب حية وشاهداً على ما لا يجب فعله تحت كل الظروف أو الأعذار حتى لا يتم تكرارها مهما كانت الأعذار.

إن إبقاء ذكرى «الهولوكوست الفلسطيني» حَيَّة تصبح ضرورة وضرورية ليس للذاكرة الوطنية الفلسطينية فقط، ولكن للذاكرة الإنسانية عموماً التي يجب أنْ تُبْقي على رفضها التام لسياسة القتل الجماعي كما تمت ممارستها من أمريكا في مدن هيروشيما ونغازاكي اليابانية، وممارسات ألمانيا النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية التي تتم ممارستها الآن بشكل أكثر وحشية في إقليم غزة الفلسطيني من اليهود الإسرائيليين أنفسهم.

وفي هذا السياق على الفلسطينيين الآن كما على العرب العمل على توثيق مجمل الجرائم الإسرائيلية الواقعة على إقليم غزة وعلى الشعب الفلسطيني بالصورة والصوت والإحصاءات وكذلك حالات القتل الجماعي للأطفال والنساء والشيوخ وحالات التدمير المقصود للبيوت والمدارس والمستشفيات وسيارات الإسعاف والمتاحف وأماكن العبادة ومؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني كافة والعمل على فتح متاحف تحت اسم

متحف الهولوكوست الفلسطيني

Palestinian Holocaust Museum

ويكون مقر هذه المتاحف في فلسطين وعاصمة كل دولة عربية وعلى أن تكون زيارة هذا المتحف جزءاً من البروتوكول لأي زيارة رسمية لمسؤول أجنبي لكل عاصمة عربية، ويكون إنشاء هذا المتحف بقرار ملزم من جامعة الدول العربية لأعضائها كافة بما في ذلك جامعة الدول العربية نفسها التي يجب أن تبادر إلى إنشاء هذا المتحف ضمن مقرها وعلى أن تكون زيارة هذا المتحف ملزمة لكل ضيف يزور مقر الجامعة رسمياً.

إن العمل أيضاً على إنشاء «متحف الهولوكوست الفلسطيني» كمتحف افتراضي (on-line) يشكل جزءاً مهمّاً من عملية نشر الوعي الدولي لحجم الإجرام الإسرائيلي كونه يتعامل مع أجيال الشباب في جميع أنحاء العالم، يهدف "متحف الهولوكوست الفلسطيني" بأشكاله كافة إلى إبقاء ذكرى الوحشية التي تعامل بها الإسرائيليون مع الفلسطينيين في الذاكرة الوطنية الفلسطينية وفي ذاكرة العالم أيضاً، وحتى لا تنسى الأجيال القادمة الإجرام الإسرائيلي وما فعله الإسرائيليون بشعب محاصر ومحتل، وإذا ما ارتأي اليهود أن من حقهم استعمال مثل تلك الذاكرة المريرة لما جرى لهم على يد المانيا النازية كوسيلة لابتزاز العالم مادياً وسياسياً، فإن الفلسطينيين بدورهم سوف يستعملون تلك الذاكرة لكشف زيف الرواية الصهيونية اليهودية وادعاءاتها الكاذبة في فلسطين، وتعزيز التزام العالم بمنظومة حقوق الإنسان واحترام القانون الإنساني وحقوق الشعوب وليس للابتزاز وسرقة أوطان الآخرين.

تخاريف نهضوية!

كتب: عبد الوهاب محمود المصري

حالة الشيخ محمد عبده

يعدّ بعضهم أن الشيخ محمد عبده (١٨٤٥ – ١٩٠٥م) أحد كبار رجال النهضة ورواد التجديد الديني في العصر العربي الحديث، فيطلقون عليه لقباً تعظيمياً هو «الإمام»، ولكن البعض الآخر يأخذ عليه مآخذ أقلها أنه «توفيقي»، يقول (مثلاً) الدكتور كمال عبد اللطيف: «اتجه محمد عبده في مختلف أعماله إلى الرد على الذين يربطون تأخر العالم الإسلامي بالإسلام، محاولاً التركيز على مبدأ لزوم المواءمة بين المبادئ الكبرى للعقيدة الإسلامية والمبادئ الكبرى الناظمة لمكاسب الحضارة المعاصرة، وقد شكل المنزع التوفيقي السمة الأبرز في مشروعه في الإصلاح»، وقد انتهى الأمر بالشيخ محمد عبده إلى «تقديم قراءة غريبة للإسلام، أو تقديم الإسلام على مقاس الغرب ونموذجه سياسة واقتصاداً وثقافة»، لذلك، فإنه ليس غريباً أن صديقه أحمد عرابي قال عنه ذات مرة: «إن القبعة تناسب رأس الشيخ عبده أكثر من العمامة»!

يقول المؤرخ المرموق ألبرت حوراني (بعد دراسة النهج الذي اتبعه الشيخ محمد عبده، القائم على التوحيد بين المفاهيم التقليدية للفكر الإسلامي والأفكار السائدة في أوروبا الحديثة)، حيث قال عن محمد عبده: «لقد نوى إقامة جدار ضد العلمانية، فإذا به، في الحقيقة، يبني جسراً تعبر عليه العلمانية لتحتل المواقع واحداً بعد الآخر، وليس من المصادفة أن يستخدم معتقداته فريق من أتباعه في سبيل إقامة العلمانية الكاملة»!

وقد كان الشيخ محمد عبده من أوائل المتعاونين مع المحتلين في العصر الحديث.. يقول في ذلك المؤرخ ألبرت حوراني: «كان محمد عبده على صلة طيبة بكرومر (الذي كان في حينه المندوب السامي للمحتل البريطاني في مصر)، وقد كتب كرومر عنه وعن رفاقه قائلاً: «إنهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي»، لذلك، أيده (كرومر) عندما أراد الخديوي عزله من مصب الفتوى»، و«يرى المفكر الأكاديمي إيلي خدوري أن صعود محمد عبده في السلم القضائي والشرعي بعد عودته من المنفى، جاء بناء على رغبة اللورد كرومر، وأن تعيينه كمفت للديار المصرية عام ١٨٩٩م جاء في أعقاب الصدام بين قوات الاحتلال واثنين من كبار العلماء حول تغيير النظام القضائي».

حالة الدكتور طه حسين

يطلق بعضهم على الدكتور طه حسين (١٨٨٦ – ١٩٧٣م) لقب «عميد الأدب العربي»، ويتجاهلون أن الرجل كان «مثقفاً تغريبياً» بامتياز، بمعنى أنه يبخس التراث العربي، ويسعى إلى الاقتداء بالحضارة الأوروبية.. فهو يطلب منا أن «نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرّها، حلوها ومرّها، وما يحب وما يكره، ما يحمد منها وما يعاب (...) إن جيشنا يجب أن ينظم تنظيماً أوروبياً، وإن شبابنا يجب أن يعد لهذا الجيش كما يعد الشباب الأوروبيون لجيوش أوروبا (...) فكما أن وسائلنا إلى حماية أرض الوطن هي الوسائل نفسها التي يصطنعها الأوربيون والأمريكيون لحماية أوطانهم، وإذاً، فلا بد أن نهيئ شبابنا للجهاد الاقتصادي على النحو نفسه الذي يهيئ الأوروبيون عليه شبابهم لهذا الجهاد، ولا بد أن ننشئ المدارس والمعاهد التي تهيئ لهذا الجهاد على النحو الذي أنشأ الأوروبيون والأمريكيون عليه مدارسهم ومعاهدهم، لأن من أراد الغاية فقد أراد الوسيلة، وليس يكفي ولا يستقيم في العقل أن نريد الاستقلال ونسير سيرة العبيد»، ونحن نتساءل (أولاً): إذا كنا سنعتمد «التربية» على الطريقة الغربية، و«الاقتصاد» على الطريقة الغربية، و«الجيش» على الطريقة الغربية، فما الذي سيبقى لنا كي نمارس فيه أصالتنا وذاتيتنا وخصوصيتنا؟ ونتساءل (ثانياً): هل التبعية في التربية والاقتصاد والجيش من مقومات «الاستقلال والتحرر» أم من مقومات «الاستعمار والعبودية»؟

في وثيقة «المشروع النهضوي العربي»

جاء في وثيقة «المشروع النهضوي العربي»، التي أعدتها ثلة من كبار المثقفين العرب (وصدرت في كتاب عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام ٢٠١٠ تحت عنوان: المشروع النهضوي العربي): إن المشروع النهضوي العربي المنشود لا بد أن يقوم، من ضمن أمور أخرى، على «التجدد الحضاري»، ومعنى هذا التجدد الحضاري، حسب كاتبي المشروع، هو أن «يكتسب العرب، اليوم، وسيلة لإطلاق ديناميات التقدم والتجدد في عمرانهم الاجتماعي والثقافي، على النحو الذي يؤهلهم للحاق بغيرهم من الأمم المعاصرة التي أخذت بحظ من المدنية والكونية، وعلى النحو الذي يحفظ لهم خصوصيتهم الثقافية والقيمية».(ص٤٦ و٤٧).

ونحن نلاحظ أن في هذا القول «معادلة صعبة»، وعلى وجه أدق «معادلة مستحيلة».. إذ كيف يمكن للعرب «اللحاق بغيرهم من الأمم المعاصرة»، التي هي كما هو واضح أمم الغرب، والحفاظ على «خصوصيتهم الثقافية والقيمية»، في آن معاً؟ فمن المعروف أن السعي إلى اللحاق بالغرب يستبطن، عملياً، القول بالتغريب Westernization الذي جوهره «تبخيس تراث الأمة والاقتداء بالحضارة الغربية»، ومن أبرز أواليات (أو ميكانزمات) التغريب: استيراد الفلسفات والإيديولوجيات الغربية (كالحداثة والعلمانية)، واستيراد التقانة (أو التكنولوجيا) المتقدمة الغربية، التي هي، بالضرورة، غير محايدة قيمياً، لأنها تحمل قيم الثقافة (أو الحضارة) التي أنتجتها، وهذا يعني أن التغريب يتضمن استيراد القيم الغربية التي تقضي على القيم الوطنية الأصيلة وتحل محلها، فتتحوَّل الثقافة المستوردة إلى نسخة أخرى من الثقافة المصدِّرة مشوهةً وكاريكاتورية، وتتحوَّل (بالتالي) الأمة المستوردة إلى أمة أخرى تائهة وتابعة (بالضرورة) للأمم المصدرة!

كتب: أوس أحمد أسعد

علينا ألّا نترك الشّعراء في الحدائق

بطريقة التّوالد الحكائيّ العفوي، والأسلوب السّردي «السّهل الممتنع» تُقدّم روايتا «هيّا نشترِ شاعراً» و«الكتب التي التهمت أبي» للكاتب البرتغالي «أفونسو كروش» آراءً مهمّة للقارئ في فنّ الكتابة والقراءة الأدبيّتين، حيث يضمّن الكاتب تضاعيف نصوصه الحكائية الكثير من الشّذرات المعرفيّة والجماليّة ساخرة المحتوى، التي تعبُرُ مجرى تنفّس الكلمات، كنسمات شفيفة، فإذا بالحروف تزدهي بمعانيها المورقة، وإذا بالبتلات تتفتحُ زهوراً يانعة، أمام ذائقة وبصر المتلقّي، يقول الكاتب: «قراءة الأشياء يمكن أن تكون من عدّة طوابق، إنّ هناك قراءات سطحيّة، وقراءات أخرى أكثر عمقاً، هي القراءات الرمزيّة، ويكفي أن نعرف أنّ كتاباً جيّداً له بالضرورة أكثر من قشرة واحدة وأنّه ولا بدّ بناية من عدّة طوابق؛ لأنّ الطابق الأرضيّ لا يليق بالأدب، وهو مريح لمن لا يحبّ صعود الأدراج، أمّا في الأدب فلا بدّ من وجود طوابق متراكمة، حروف من الأسفل وحروف من الأعلى».

الأسلوب السردي البسيط ليس جديداً على الأدب، لكن قلّةٌ هم الذين استطاعوا تقديمه كوجبة أدبيّة حقيقيّة، كونه يحمل في طيّاته الكثير من البريق المخادع الموحي باستسهال الكتابة، بينما هو في الجوهر هضم ثقافي فنّي هادئ، كثيف لآليّات الكتابة والقراءة، إذ لا بدّ لكاتبه من أن يكون متشبّعاً بموضوعه، متمكّناً منّ أدواته وتجربته الفنيّة، لينجح في تضمينه وتحميله الرسالة المفترضة إلى القارئ بطريقة سلسة، هكذا يبدو لشدّة مألوفيّته، مثيراً للرّيبة، بتلك البساطة المقلقة، التي يظهر بها، والمغرية بالتّقليد، ولدينا في الساحة الأدبيّة السورية على المستويين الشّعري والسّردي أمثلة نجحتْ في استخدامه بشكل مدهش: «/الماغوط، رياض الصّالح الحسين/ حنّا مينه، عبد الله عبد، سعيد حورانيّة، وليد معماري، خليلُ صويلح/ إلخ..» تلك البساطة المخاتلة التي ظهرت على المستوى العالمي لترينا حجمَ الهُوّة العميقة بين روايات عصر الكلاسيك، كتابات «ستاندال، بلزاك، تولستوي» وروايات عصر التّجريب والحداثة، إنّه نوع من الروايات شديدة الذّكاء، كما يصفها المبدع السّوري الراحل القاصّ «ناظم مهنا» قادر على جعل الجديّة الفلسفيّة بمنزلة أضحوكة ساخرة، بسرده الهازئ بالجديّة برمّتها، وبالعالم الوضعيّ وزيف قواعده وادعاءاته، والذي يميّز هذا النّمط من الكتابة الجديدة، أنّه يكسر القواعد والأساليب المتعارف عليها، من خلال استنطاق الشّخصيّات المتخيّلة، للمتن السّردي ذاته ومحاكمته، أو محاورتها لأبطال روايات أخرى كتبت في زمن ومكان مختلفين، مع أنّها مجرّد كائنات لغويّة تنتمي إلى الفضاء التّخييليّ فحسب، وقد نراها أحياناً تفرّ من بهوها الورقي، لتتجوّل في أزقّة الواقع ككائنات من لحم ودم، ثمّ لتعيد بنية ذاتها وتوضّعها من جديد، ضمن النّصّ بطرق فوق واقعيّة، أو أنّها تُفسح المجال لولوج القارئ على أجنحة المخيّلة إلى ردهات النصّ بكامل فخامة المجاز مبحراً في فُلْك الدلالة نحو أقاصي المجهول، حيث تغدو متعة الكتابة أشبه بالسير في متاهة «بورخيسيّة» لافتة لا يكاد يُعرف خلالها السّارد من المسرود، ولا المتخيّل من الواقعي، ضمن لعبة أدبيّة مسرحها الحياة، حلزونيّة المسار والتّطوّر، منظوراً إليها من ثقب صغير في شال الكون.

تبدأ الرواية ذات العنوان المختلف «هيّا نشترِ شاعراً» الصّادرة في «تونس» ترجمة «عبد الجليل العربي»، بهذا العرض البسيط: ثلاثون غراماً من السبانخ، ثمّ الجملة الأولى: «أكلتُ ثلاثين غراماً من السبانخ هذا اليوم، سعر الكيلو باثنين من اليوروهات وثلاثين سنتاً» ثمّ ليتبيّن من خلال الغوص في ثنايا السرد بأنّها رواية بغاية العمق والطرافة وخفّة الدّم، يصعب الاكتشاف إن كانت موجّهة للصغار أم للكبار؟ فكرتُها المحوريّة تقوم على: «أنّ صبيّةً عمرها ثلاث عشرة سنة، رغبتْ في أن يشتري لها والداها شاعراً من الحانوت، كما اعتاد الناس شراء قط أو خروف أو كلب أو أرنب، وقد وجد الأب والأم أنّ الطلب معقول، فالشاعر لا يكلّف مالاً كثيراً، ولا يترك أوساخاً في المنزل مثل الرّسامين والنّحاتين، وهكذا تمّ شراء شاعر»!

الرواية ببنيتها الكليّة بسيطة اللّغة والمحتوى والشكل، بخاتمة لا تخلو من التّفلسف، تقول: «الخيال ليس هروباً من القبح والرعب، ومن المظالم الاجتماعيّة، وإنّما هو بالضّبط تصميم لبناء بديل، الخيال والثقافة يبنيان كلّ ما نحن عليه»، شخصياتها قليلة، محورها الشاعر حتى وهو في قفص، ثمّ تأتي هذه العبارة السّاخرة التي تختزن الكثير من الجدّ والهزل: «علينا ألا نترك الشعراء في الحدائق»، كذلك الرواية الأخرى، فإنها تنحو المنحى السّردي البسيط نفسه، وبعنوان لا يقلّ إدهاشاً عن سلفه، هو: «الكتبُ التي التهمتْ والدي» طُبعتْ في «تونس» أيضاً، بترجمة «سعيد بن عبد الواحد»، يقول الراوي فيها، وهو طفل في الثانية عشرة من عمره: (ما معنى التورية؟ أنا لم أعرف والدي قطّ، عندما ولدتُ لم يعد من أهل هذه الدنيا، يبدو أنّ العبارة تعدّ تورية، لكنّها ليست كذلك، إنّها الحقيقة الموضوعيّة وفق ما سترون. دون أيّ تنميق بلاغي، ذات مساء مثل عدّة مساءات أخرى، راح والدي يقرأ كتاباً وضعه تحت مطبوع خاص بالضريبة على الدّخل، ولفرط انغماسه في القراءة وقوّة تركيزه، ولج إلى داخل الكتاب، تاه في القراءة، وعندما حلّ رئيس المصلحة بمكتبه، لم يكن موجوداً فيه، كانت هناك فوق الكتب مطبوعات خاصّة بالضريبة على الدخل ونسخة من جزيرة «مورو» مفتوحة عند الصّفحات الأخيرة وقد قام «جوليو» هذا هو اسم رئيس المصلحة، بالمناداة عليه: فيفالدو، فيفالدو، لكن والدي لم يردّ بأيّ جواب، ذلك أنّ الأدب قد لبسه فصار يعيش تلك الرواية.. تقول جدّتي إنّ هذا يمكن أن يقع حين نركّز حقّاً على ما نقرأ)، ويمضي السّارد الطفل منقّباً في الواقع عن شخصيّات الرواية المتخيّلة معتمداً الإشارات والرموز المبثوثة في حنايا السّرد كأسماء الأماكن والشخصيّات وغيرها، بتحفيز من الجدّة، وتطبيقاً لوصيّة والده الذي «مات إثر أزمة احتقان موضعي» كما عُرفَ فيما بعد، تقول الوصيّة: «أعطه المفتاح حين ترين أنّه أصبح قادراً على قراءة كتب عليّتي... سلّمتني جدّتي المفاتيح بكلّ وقار لأجدَ في تلك العليّة لاحقاً كلّ كتب والدي، بما فيها كتاب جزيرة الدكتور «مورو»، وهو الكتاب الذي استعمله ليلج إلى عالم الأدب».

هكذا نرى بأنّ فنّ البساطة هو فنّ الحياة عموماً، سواء تجلّى ذلك في الكتابة أم في التعامل الاجتماعي؟ لكنّه لا يُسلسُ قياده في مجال الإبداع إلّا للقلّة، لأنّه يحتاج إلى موهبة خاصّة وتثقيف طويل متشبّع بتجربة الحياة وجماليّاتها، قبل الخوض في غمار الكتابة وكيميائها، وكذلك يحتاج هذا النمط من الكتابة إلى قارئ مختلف، حرّ وغير محكوم بآراء مسبقة الصنع.

معيارية القفلة بقصيدة النثر، بَيْنَ اللافت واللائك

كتبت: جوانا إحسان أبلحد

هَلْ أراها كَالخزَّامة على أنف القصيدة، أمْ أراها كَالياقوتة الحمراء وقد جاءتْ كَ(واسطة العُقْد) على صدرها الناهد؟ والعقد هو مجموع الخرزات الاستعارية والانزياحية على مَدِّ القصيدة الحلوة، أمْ أراها كنقطة البندي على جبين صبية هندية، قد يزدحمُ بالألوان مرآها لكن أشعة معناها تتركّز بتلك البؤرة على جبينها، وتلك النقطة فقط ستعلق بذهنك بعدما تتناءى عنكَ بمجموع ألوانها وإكسسواراتها؟ أجَلْ هكذا توصيفات تتبدَّى لمنظوري لو نظرتُ لمعنى القفلة بقصيدة النثر الحقيقية/ الحاذقة.

لو سألتَ القديرين/القديرات بقصيدة النثر عن أهم ميزة بالقفلة سيقولون فوراً: الدهشة!

فهَلْ نؤتي تلك (الدهشة) بقصدية فنية أم هي تعبير فوري يتوالى أخيراً على سطور القصيدة وبديهياً سيكون مُدهشاً؟

بمقال عتيق يتناول المعايير الفنية لقصيدة النثر، رقَّمْتُ القفلة كخامس معيار بالذي يُرادف الفكرة مِنْ معيار يتكوَّرُ بالأهمية كما تتكوَّرُ المحارة على لألأة مكنونها، هذا لو كانتْ المحارة أسلوبيتكَ ومكنونها هو الرؤية الخام مِنْ موضوعكَ.

لو أردتُ الاشتغال على المبنى لمُساورة (الدهشة) بالقفلة، هُنا سأستعملُ المعْوَل اللغوي لتغيير السياق أو إبراز التحول اللغوي بتعبير أدق وأدهى، ومِنْ باب التوضيح للمهتم بالأمر أقول: لو يتراصف عندكَ سياق نحوي واحد على مدِّ القصيدة سواءً كانَ بناؤها متنامياً أو مقطعياً، قد يكون المفضّل لغوياً أن تُغيّرهُ بالقفلة، وبمثال أوضح: لو أغلب سطور قصيدتكَ تبدأ بالأفعال المضارعة، عندما تصل القفلة يُفضَّل أنْ تُغيّر من رتابة الجمل الفعلية وتصنع لنا المُباغتة النحوية، كأن تجعل القفلة جملة اسمية أو استفهامية أو منفية، خصوصاً أدوات الاستفهام والنفي أراها كَالشامات الحلوة على بشرة قصيدة النثر.

لو أردتُ الاشتغال على المعنى لمؤاتاة (الدهشة) بالقفلة، هُنا سأستعملُ المعْوَل الرؤيوي/ التصويري لتخليق الإدهاش وبنوعيه عندي، كـ النوع المُرهَف وفيه الإدهاش والإمتاع معاً على هيئة لمسة لوجنة المتلقي، وذلك الصادم/الصارخ على هيئة صفعة على وجنة المتلقي!

بهذا المعْوَل الرؤيوي ستقلّبُ تربة الأساليب الشّعريَّة المُتعارف عليها مِنْ استعارة وترميز وانزياح، حاولْ فقط أنْ تنأى بمعْوَلكَ -نسبياً- عَنْ تربة المتداول والمتوقَّع والمطروق والمستهلك والمكرر بمجموع الصور على مرِّ اطلاعاتكَ الشّعريَّة.

وشخصياً أرى أسلوب الاستعارة أشبه بالصقر الذي يحطُّ على كتف المشهدية بعنفوان وهيبة لتخليق القفلات المُتفرّدة، التي قد تجعل المتلقي يُعاود قراءة القصيدة، وبالمرة الثانية يفغرُ فاهاً أوسع عندَ التركيز الأمتع بسطوركَ حتى وصوله لقفلتكَ الاستعارية الأدهش وفرَاشات تأمُّله تدورُ ملياً/ ممتعاً حولَ قنديلها الأقوى!

أشعرُ أنَّ القفلة بقصيدة النثر مدعاة الذروة النصيَّة وليستْ لأجل الانكفاء/الانحسار/ التضاؤل/ التلاشي/التصاغُر/ الخفوت/ الأفول.. وعليه لو يتصاعد الفعل الكتابي تدريجياً بالأنواع الأدبية الأخرى ثم ينبسط عند ختامها، سأرى العملية معكوسة بقصيدة النثر والتصاعُد يأخذ ذروته بالطريق إلى قفلتها، كما أرى القفلة بقصيدة النثر ليستْ مِنْ مفهوم الخلاصة بنهاية المقالة، وليستْ مِنْ مفهوم الخاتمة بنهاية القصة، وليستْ مِنْ مفهوم المُحصّلة بنهاية الرواية، وليستْ مِنْ مفهوم المغزى أو المقصد بأواخر القصيدة التفعيلية، وليستْ مِنْ مفهوم الحكمة أو العبرة المُرتجاة مِنْ البيت الأخير بالقصيدة العمودية، بَلْ أراها مِنْ مفهوم السدادة كَإغلاق لنافذة المشهدية على وجه الفجأة!

ثم أحدسُ أنَّ القفلة بقصيدة النثر ذات نزعة انفصالية عن موضوع القصيدة.

قد تكون -غالباً- غير انفصالية ومِنْ الخيط نفسه الذي نَسَجَ القصيدة وهذه بحالة القصيدة المُتوشّحة بشال وحدة الموضوع، أو تنفصل عن منسوج القصيدة وتكون مدروزة بخيط آخر لكّنهُ يتصل بخيط الرؤية الخام للموضوع الشّعري بينما عقدة الوصل مُتوارية بوجدانية الشاعر/ة.

أيضاً أرى القفلة بقصيدة النثر ليستْ بالضرورة تكون مفتوحة على أكثر مِنْ تأويل إرضاءً لهذا الرأي اللائك مِنْ ذوي النقد الكلاسيكي الذي يكون مفضّلاً أو ممتعاً أكثر بخواتيم الأنواع الأدبية الأخرى، أجَلْ تعددية التأويل قد تكون -أحياناً- شائقة بقفلة قصيدة النثر لكن لا أراها ضرورة وجدانية قبلما تكون فنية، ما أجدى وأجمل أنْ يأخذ الشاعر دور الحادي -أحياناً- ويقود بنفسه ناقة التلقي إلى الواحة الأروى مِنْ وجهة نظره الوحيدة/ الفريدة وبقفلته المُسجَّاة على أريكة المعنى الصادم وغير القابل للقسمة على تأويلَيْن! وما أراهُ أعلاه مِنْ نافذة رؤيتي الشخصية ليسَ إلا!

ختاماً أتمنَّى لمعتنقي قصيدة النثر الاشتغال الممتع على معيارية القفلة، وأعتقد هذا الاشتغال لو جاءَ بالمعْوَل الرؤيوي بمعية المعْوَل اللغوي لتقليب تربة القفلة، سيجعلها خصبة بالمعنى العميق رؤيوياً/ الأنيق لغوياً على وجه الفجأة.

أشعر أني مجموعة كبيرة من النساء داخل امرأة

كتبت: سريعة سليم حديد

الأديبة «رهام عيسى» صوت من سورية من مدينة صافيتا، فازت بجائزة الشارقة للإبداع العربي لعام 2022 في مجال القصة، عن مجموعتها التي بعنوان «سمك بحري»، وكان لنا معها الحوار التالي:

- «سمك بحري» مناداة.. مناجاة.. أو قد يكون صيداً من الأسماك أو الأفكار.. عنواناً يحمل في طياته ألغازاً عدّة، فماذا عنه؟

- سمك بحري عنوان إحدى القصص من المجموعة، والحقيقة لم يكن هذا سبب تسمية المجموعة بهذا الاسم، السبب الرئيسي أني لطالما اعتقدت أننا كلنا بطريقة ما أسماك، وشخصيات قصصي أسماك أيضاً، وعندما أخرجوا من بحرهم اختنقوا، وكم من طريقة للاختناق في هذا العالم!

- «سمك بحري» يدخل عالم القص من بابه الواسع متصالحاً مع الإبداع، فأية قصة فيه أشبه طفلة مدللة تترك في النفس وهجاً يعزُّ عليه أن يتلاشى، فأية صغيرة أسعدتك بذلك الوهج حتى الآن؟

- المعفون من أسمائهم، هؤلاء الذين قد يعيشون حياة كاملة دون أن ينادى عليهم ولو لمرة واحدة فقط، الذين يعيشون على هامش الحياة دون أن يختبروا منها شيئاً إلا ثقل الوجود، أحبهم وأحب أن أكتب عنهم، وربما قصة «أبيض وأسود» من أكثر قصص المجموعة قرباً إلى قلبي لهذا السبب.

تحكي القصة حكاية شاب من ذوي الاحتياجات الخاصة، تخلت أمه عن كل شيء، عن كل احتمالات العيش الأخرى، واكتفت بقصتها معه، صنعت منه بطلاً لقصتها الشخصية، أما هو فالعالم كله لديه لم يكن يعني أكثر من وجودها معه.

- يبحث الكثيرون في هذا العالم عن المجد، يحاولون أن يظهروا بأية طريقة، على حين قلة قليلة من الناس لا يهمها شيء من كل تلك الفوضى ولا يعنيهم الاحتفال بحياة يعرفون مسبقاً أنهم خارج مقاييسها وبعيدون كل البعد عن طقوس السعادة والفرح فيها، لا يسعون ليصبحوا أبطالاً ولا يركضون وراء مجد زائف، لكنك ببساطة عندما تُلقي نظرة واحدة حقيقية عليهم تكتشف أنهم أبطال بالفعل، أبطال حقيقيون، لكن دون أضواء، إن عبلة ويوسف أبطال قصة «أبيض وأسود» من هؤلاء الناس.

- «سمك بحري» قد يكون مراً أو لذيذاً، أو سماً أو ترياقاً.. فهل لما جرى في سورية نصيب منه، وكيف كان ذلك؟

- بالتأكيد كان لما جرى في سورية حصة الأسد في القصص، في الواقع لا يمكن لأي شخص في العالم أن يعيش الحرب دون أن تترك في نفسه أبلغ الأثر، فلا تكاد تخلو قصة من القصص من رائحة الحرب والفقد والخوف والقلق والظلم والانتظار...

- بالحديث عن الحرب، أتذكر أني عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري قرأت رواية «الساعة الخامسة والعشرون» ومن وقتها أصبحت مولعة بقراءة الروايات التي تحكي قصص الناس في الحرب، كيف يعيشون؟ كيف يحبون ويغنون ويرقصون؟ وكيف يموتون أيضاً ويخافون ويسأمون؟ الحروب تجعل الناس يفهمون أنفسهم أكثر كما أنها تغير طريقتهم في التعامل مع حياتهم لتصبح الأشياء الاعتيادية قضايا مصيرية، فهم يدركون من الرصاصة الأولى أنهم خارج اللعبة وخارج القضايا الكبرى، وأن هناك إرادة أقوى تنقلهم من دور إلى دور، وحتى الآن ما زلت أميل إلى هذا النوع من الأدب الذي يرصد بشكل مباشر أو غير مباشر آثار الحرب على حياة الإنسان، على اعتبار الحرب كما أعتقد الوجه الأقسى للظلم، في الحرب لا أحد ينتصر الجميع خاسرون.

- قيل: «العناق هو الحرية الوحيدة التي تتخذ شكل الطوق،» وكذلك يتجلى فوزك بالجائزة طوقاً منحك حرية الفرح ومتعة الوصول فمن الأيدي التي امتدت لتقدم لك طوق النجاح؟

- بداية، الشكر الكبير لدولة الإمارات التي منحتنا فرصة المشاركة، ومدت لنا يدها البيضاء طوقا للنجاة والنجاح.

أما على الصعيد الشخصي، فعائلتي وأصدقائي كانوا خير عون وسند لي، بعض الأصدقاء في بعض الأوقات آمنوا بي أكثر من إيماني بنفسي، وفي لحظات الإحباط الصعبة كنت أستمد القوة من طفلي اللذين لم يتوقفا لحظة عن الإيمان بي.

لدي طفلان يعرفان جيداً كيف يجعلان حياتي أجمل، وأعتقد أن كل خطوة إلى الأمام كانت بفضلهما، الأمومة تمنحنا القوة، تجعلنا نطأ أماكن لم نكن نعرف بوجودها داخلنا.

- كتبت على صفحتك على الفيس بوك: «أطول طريق قطعته في حياتي، الطريق من سريري إلى العالم» فما أبرز معالم ذلك الطريق؟

- لا معالم لهذا الطريق، ولا علامة مميزة إلا السواد الذي كان يخيم عليه، كنت على يقين أن حياتي أخذت اتجاهاً واحداً ومن المستحيل صنع شيء تجاه كل الأسى الذي يحيط بي، تأقلمت مع الظلام حتى أني تماهيت معه وأصبحت جزءاً منه ولما لمحت ضوءاً كذبته، واحتجت وقتاً طويلاً جداً لأصدقه وأمشي باتجاهه.

المهم الآن المهم في كل ما حدث أني قطعته وانتهى الأمر، وخرجت منه امرأة أقوى وأكثر قدرة على الحياة وانفتاحاً على العالم الذي أغلقت الباب في وجهه لسنوات طويلة.

- على ضفاف الحلم ينبت الإبداع، ويورق، يزهر.. في ربيع كل ربيع، فأي جو توفرينه له، حتى يبقى مستيقظاً معك؟ وكيف يعامل الحلم بداية مع ومضة القصة حتى يوصلها إلى الظهور على ساحة الورق؟

في الحقيقة لا أؤمن بالأجواء ولا بالطقوس، الكتابة لدي أولاً وأخيراً كانت طريقتي في النجاة، لذلك لم أوفر لها يوماً جواً مناسباً، بل على العكس تماماً كثيراً ما كانت تأتي الأفكار دون سابق إنذار، قد تعتقدين أني أبالغ إن أخبرتك أني كتبت ثلاث قصص في باص النقل الداخلي.

الحياة في سورية اليوم في ظل تبعات الحرب وخاصة التبعات الاقتصادية قاسية وصعبة جداً، مرات كثيرة كنت أكتب على ضوء الشمعة ومرات كثيرة كنت أنتظر الكهرباء حتى الفجر لأعدل على قصة ما، لأضيف فقرة أو أحذف عبارة.

فقدت الأمل كثيراً، أصابني الإحباط، شعرت بالعجز، لكني دائماً كنت أتوقف لآخذ نفساً عميقاً وأعود للمحاولة.

عندي، لا شيء يمكن له أن يحرضني على الكتابة أكثر من وجوه الناس، لذلك كان الشارع المكان الأهم الذي استقيت منه الكثير من القصص حتى دون أن أعرف معلومة واحدة عن الأشخاص، عيونهم نظراتهم كانت كافية لي، أكثر ما يحزنني اليوم، أني كلما حدقت في وجه عابر سقطت منه جثة.

- المرآة تعكس تفاصيل النفس، وتولد مشاعر عصية على التفسير.. فما حكايتك معها؟

- كنت دائماً أقول إن أفضل إنجاز قد أفعله في حياتي أن أصدق أني ذات الشخص في المرآة، دائماً كنت أشعر أني مجموعة كبيرة من النساء داخل امرأة واحدة، كتبت مرة:

أحدق طويلاً في المرآة، أحاول أن أتعرف على تلك المرأة التي من المفروض أني هي، أحاول أن أواجه بقوة كل تلك النساء اللواتي استبحن جسدي وجلسن داخلي وكل واحدة منهن تصرخ أنا هي..

المرأة في قصص (لعبة الاختفاء) للقاصة رندة عوض

كتب: عوض سعود عوض

قصص (لعبة الاختفاء) تتحدث عن واقع، تحاول القاصة أن تحوله إلى إبداع وفن. تحكي قصة (البواب) عن الغربة وبصحبتها ابنتاها اللتان تراهما بوابة تربطها بالحياة، تشرح لابنتها الكبيرة بأن جديلة أختها تذكرها بدور جدتها ودورها الذي لا تنساه، تعود لحاضر الغربة فتصفه مكان هادئ كقبر مقفر، النافذة الوحيدة هي حياتها وصلتها بالعالم، تخشى إغلاقها، أما في قصة (شمس قمر) فتتحدث عن العلاقة بين الأختين داخل الأسرة وخارجها، واعتراض سيلفيا على اسمها الذي تحاول تبديله فتقول لأختها: (ما رأيك أن نتبادل اسمينا: أنا ليلى وأنتِ سيلفيا).

تتحدث قصة (الفراغ) عن حياة شخصية القصة التي تعيش الفراغ، ترد على الآخرين وتؤكد لهم أنهم لا يعيشونه حتى الذين كتبوا قصصاً عن الفراغ لم يفوزوا بالجائزة، هي التي ستكتب عنه، وعلى الحاكم أن ينتظر أسابيع حتى تنتهي من طباعة أكبر مؤلف احتوى ما يزيد على ألف قصة كونها تعيشه، ولأنها بلا وطن، ما زالت لاجئة في أوروبا، فغدت تعيش الاختباء بعيداً عن صديقاتها وحياتها السابقة، أما العواطف الإنسانية ففي قصة (البرواز) التي تتحدث عن رحيل روزا التي رسمت صديقتها ووضعتها داخل إطار خشبي، وغدت تتكلم مع الصورة، وهذه مأساة من نوع آخر أليس هذا هو الاختباء؟

تتحدث قصة (دعني بسلام) عن علاقة الأب مع زوجته التي يعاملها معاملة لا إنسانية، يضربها وهي تبكي وتمسح وجهها برماد الخشب، فيأتي ابنها يمسح وجهها ينظفه ويقبلها، وهي راضية بحياتها، على الرغم من أن زوجها يدلل عشيقته، التي مرضت فاهتمت بها وأوصت ابنتها أن ترعاها، تتحدث قصة (حتى ينتهي الانتظار) عن سفر حبيبها، حان وقت عودته، وها هي تنتظره وتتخيل كيف سيكون استقباله لها، هل ستسامحه على تقصيره ووعوده؟ في هيجان ترقبها تصلها رسالة منه، تفيد بأنَّ عليهما أن يبتعدا عن بعضهما، ثمة ظروف أقوى منهما، تساءلت عن الوعد الذي تبخر، وكيف أغلق باباً من حديد بينها وبين العالم؟ شبهت القاصة هذه الحادثة بطفل وعدته أمه بسكاكر وماتت، فظلّت فكرة السكاكر تراوده طوال عمره.

في هذه المجموعة مفيد مناقشة العنوان (لعبة الاختباء) التي كانت تلعبها وهي صغيرة تحت اسم «الطميمة» وهو عنوان القصة الأخيرة من المجموعة، وهو واضح المعاني إلا أنَّ القاصة وقصص المجموعة اختبأت خلفة، لنكتشف أنَّ الحياة تمارس هذه اللعبة، تخفي أصدقاءها بأشكال مختلفة وراء الشمس أو في البحر أو في الغربة، ورأت أنَّ الاختفاء فعل لا إنساني، وأنَّ هذه اللعبة مختبئة في العناوين الداخلية، أما قصة (شمس قمر) ففيها اختفاء الأخت التي لم يعجبها اسمها في نهاية القصة، وفي قصة (ذات حلم) الأحلام تطاردها على شكل كوابيس، تركض في الحلم وثمة من يركضون معها، يريدون العودة إلى الحلم، أي إلى الاختباء من الواقع، أما في قصة (دموع القمر) فتحكي عن فتاة تخشى العتمة التي أضاعت فيها أحد قرطيها، إلا أنَّ القمر كشف قرطها الضائع، في مثل هذه الحالة فإن إضاعة القرط والعتمة هما صورة عن الاختباء.

تخبئ القاصة المزيد من الآلام في قصة (غرفة 208) التي تروي قصة أسرة أبي عزيز الذي اعتقل ابنه في اليونان أما زوجته سحر فأغمي عليها، بسبب قرار رفض لجوئها، أليس في هذا هروب واختباء من الواقع؟ حتى أن الواقع المأساوي والفراغ الذي تعيشه دفعها إلى علاقة حبٍّ وصداقة مع القطار في قصة (وقعت في عشق القطار)، وكذلك قصة (عندما كنت شجرة) التي تحكي العلاقة الإنسانية مع الطبيعة، أما في (بلاد الغربة) فثمة اختباء للحبِّ والعلاقات العاطفية الصادقة ولكل جميل.

الزمن:

تسافر القاصة إلى أوروبا ويسافر ماضيها معها، ففي قصة (البواب) تعدُّ فنجان قهوة، وتعيش مع ماضيها وتضع أغنية فيروز (ضلوا تذكرونا) وهي دعوة للتعلق بالماضي، وعدم نسيانه أو إهماله، وفي قصة (ذئبة الثلج الأبيض) تتحدث عن حبّ يوري لصديقته لاريسا التي تتذكره عندما غسلت الصحون: (كانت شوكته بين الأواني، عدت إلى ذلك اليوم بتفاصيله، كيف أعطاني إياها مع وجبة طعامه) 58 وفي قصة (البرواز) تعيش الرسامة حياتها مع الماضي حيث تحدث الصورة التي رسمتها لصديقتها.

تحاول القاصة التجديد في حياتها وفي تراتبية الأحداث، ففي قصة (محكمة) تبدأ القصة من نهاياتها، فتحكي ما حصل معها في المحكمة، ثم تأتي ببداية القصة، حيث تذهب إلى مكتب المحامي لمناقشة بعض الأمور الخاصة بوضعها، ومن قصة (غرفة 208) تبدأ القصة من قسمها الأخير وهي مع السيدة سحر، التي نقلت بسيارة إسعاف إلى المشفى، أما بداية القصة فتحكي قصة عائلة سحر ومجيئها مع زوجها وابنها إلى أوروبا وتقديمها طلب اللجوء الذي رفض.

حاولت القاصة تقطيع بعض قصصها إلى مقاطع وأقسام في غير قصة، كما في قصة (دموع القمر) المقسمة إلى ثلاثة مقاطع، وقصة (شمس قمر) المقسمة إلى أربعة مقاطع، وقصة (الفراغ) إلى خمسة مقاطع، ومثل هذا التقطيع يعطي فرصة للقارئ أن يربط بين الأقسام، ويلاحظ بعض التغييرات في الأسلوب، وفي إعطاء القاص بعض الحرية في السرد وفي التقديم والتأخير، وفي تغيير زمن الفعل واستخدام الضمائر وتعددها.

في القصص شيء من الحكائية وهذا واضح في قصة (الفراغ): (إنَّ والي بلاد الفرنجة يخصص جرة مملوءة بالذهب للكاتب المقنع، هيا يا فتى، قل ما لديك) 45 وفي قصة (دعني بسلام) عندما يسمعها من بطلة القصة يستدعي حكاية أسرته عن حنان أمه وعن هروب الأخ الأكبر من قسوة أبيه، وسفره إلى فرنسا، وعن علاقة أبيه مع أمه، وعلاقته مع أفراد الأسرة، كل ذلك سرد لنا على شكل حكاية.

في قصة البرواز شيء من المسرحية كما في:

لكن لا ضير في أن تخبرني عن المسرحية.

الزمان: وقت مضى ويأتي الرحيل.

المكان: غرفة غير محددة الملامح يظهر محدب تقوس من ثقل الهموم.

الحدث: بطل المسرحية مستلق فوق سريره يدعي النوم...

كتبت القصص ما بين عامي 2017 و2020.

لعبة الاختباء - قصص رندة عوض - إصدار " العائدون للنشر والتوزيع " عمان 2021 - تقع المجموعة في 100 صفحة من القطع المتوسط في 15 قصة.

قصص روسية بلون الخاكي

كتب: رياض طبرة

بداية لا بد من الاعتراف بأن كل ما قرأت من الأدب الروسي العظيم والسوفييتي صار من الماضي السحيق، وأن حاجتي لقراءة الأدب الروسي المعاصر ضرورية، ولا سيما بعد المتغيرات الكبيرة والانعطافات الحادة، والحروب، وهي أعظم مؤثر ومحرك للكتابة.

بين يدي القارئ العربي مجموعة قصصية تحت عنوان (قصص قصيرة بلون الخاكي) وهو عنوان يحمل الكثير من الدلالات عما تحتوي عليه المجموعة أو ما تهدف إليه، لكنه ربما لا يشي بكل شيء، فالعنوان مهما بدا دالاً على ما هو مكتوب إلا أنه للتعريف وليس لأكثر من ذلك، ومثلنا العربي (المكتوب يقرأ من عنوانه).

المجموعة القصصية للكاتب الروسي نيكولاي. ف. إيفانوف، وهو رئيس اتحاد الكتاب في روسيا منذ 2018 ولد في منطقة بريانسك وكثير من قصصه عن موطنه هذا تخرج في مدرسة سوفوروف العسكرية في موسكو وكلية الصحافة في مدرسة لفوف العسكرية السياسية العليا، حارب في أفغانستان، قضى أربعة أشهر في الأسر في الشيشان، حصل على وسام، خدمة الوطن الأم في القوات المسلحة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من الدرجة الثالثة وميدالية الشجاعة وشارة اللجنة المركزية للكمسمول، البسالة العسكرية، وميداليات الشجاعة لمشاركته في عمليات عودة شبه جزيرة القرم والعملية العسكرية في سورية.

ألف أكثر من عشرين كتاباً في القصة والمسرح، حائز جوائز أدبية نيكولاي أوستروفسكي (وميخائيل بولغاكوف وستالين غراد) ولقب ريشة الحدود الذهبية.

في قصص إيفانوف الكثير من تأثير المكان حتى يكاد المكان البطل غير المنازع بحيث تتجه الأنظار إليه سواء كان جبلاً أم ممراً أم نفقاً وهي أماكن عاشها الكاتب فعكس شيئاً من معاناته هو وزملاؤه في تلك المناطق من بريانسك، والقصة الثانية في المجموعة عنوانها (قصة من بريانسك) ولا عجب في ذلك فقد سار الأدباء على نهج الآباء المؤسسين للسرد في تقصي المكان على نحو بارع قبل أي طموح آخر؛ في تعظيم لمكانة الوطن في الأدب الروسي.

قد نجد الكثير من الأمور غير المألوفة في هذه المجموعة التي لم نكن نجدها في الأدب السوفييتي، على الرغم من انتماء الأدبين السوفييتي والروسي بنسخته المعاصرة إلى أدب الواقعية الجديدة أو التي كانت تدعى بكثير من التفاخر بالواقعية الاشتراكية.

من هذه الأمور الحديث بحرية عن بعض ما كان محرماً من قبل، الكنيسة مثلاً والصليب والأديرة والكاهن وغير ذلك مما كان يشكل تهمة تحمل صاحبها إلى سيبيريا أو أقرب مصحة نفسية، وكذلك الحديث عن المساجد وحماة الإسلام والجهاد إلخ...

المجموعة تنتمي إلى أدب الحرب، والحرب في الشيشان هي موضوع السرد، وقد يجد القارئ وصفاً دقيقاً لكل عملية على حدة.

ذهبي الطبع ذهبي الشعر القصة الأولى وفيها مواجهة مع مسلحي الشيشان جماعة خطاب وصورة عن تعاملهم مع الأسرى الروس، وكذلك كيفية التعامل مع المهمات من جنود ليسوا من جيل الشباب، بل هم في معظمهم من المحاربين القدماء في مواقع أخرى، كأفغانستان، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مسألة الحرب تحتل صفحات طويلة غنية من الأدب الروسي قديمة وجديده وما بينهما في الحقبة السوفييتية.

إن الحرب والروس توءم فيما يبدو لي من قراءة التاريخ والمعرفة ولو البسيطة بذلك التاريخ، وعلينا تذكر كم من الحروب فرضت على الروس؟ سواء من الشرق حيث الحرب مع اليابان أم من الغرب حيث حربان عالميتان، أو في الجوار، الشيشان والأفغانستان.

ويبدو لي أن الكاتب برع في اختيار لون الخاكي وصفاً لقصصه، ذلك بأن الخاكي ذو دلالات عدة ولا يقف للدلالة على لون بعينه، كأن نقول قصص صفراء، أو قصص عسكرية نسبة للحرب التي هي موضع السرد من أوله إلى الخاتمة.

قصة من قصص المجموعة تستوقفك من العنوان كعتبة نصية (أص الديناري) وهكذا تظن أننا أمام لعبة الشدة المعروفة التي يبدو فيها الأص أقوى الأوراق، لكنك في القصة هنا عند إيفانوف أمام كلمة سر للعبور إلى مواقع مهمة ممنوعة تحتاج إلى موافقة مسبقة، وهكذا جمع الكاتب ما بين أمرين: الإشارة إلى كلمة العبور ثم إلى العبور نفسه، حيث وصل إلى ما كان يعرف بالخطوط الحمراء.

ففي الصفحة 77 يقول الكاتب: راح ستالين متخفياً خلف كتفه المرتفعة، يعدّ البنكنوتات دون النظر إليهم.

وبعد أن قطع عدة أوراق نقدية توجه بنظره نحو ساحة مانيجانيا

وقع نظره على كارل ماركس وهو يتمشى حول علامة صفر كيلو متر الذي تبدأ منه الطرق الروسية وأومأ زعيم الشعوب له بأصبعه فهرع الرجل نحوه واستمع إلى التعليمات وبعد أن تلقى المال اتجه إلى مطعم ماكدونالدز.

لينين الذي استند الى جدار المتحف الذي يحمل اسمه متكاسلاً قرص لحيته باستحسان، من العدل أن يذهب الأصغر سناً لإحضار طعام الغداء بينما ترك نيكولاي الثاني منصبه عند مدخل حديقة ألكسندر عندما أحس باقتراب الوليمة ضغط بالسيف على خطوط الجنرالية الحمراء التي تزين بنطاله وسارع إلى الظل الساقط من النصب التذكاري لجوكوف.

وهنا لا بد من ملاحظة أن الكاتب لو اكتفى بهذا المقطع لنجح في التعبير عن موقف الكثيرين من تلك التجربة التي ربما سيظلّ الخلاف قائماً حول نجاحاتها أو إخفاقاتها، لكن مجموعة قصص قصيرة بلون الخاكي قالت الكثير عن الحروب ويكفيها ما قالته، وليس غريباً على كاتب ينعم بالكثير من الحرية، وبكثير من الوعي أن يقدم هذه الصور المتتابعة عن بشاعة الحرب، وسخف أهدافها ما لم تكن في سبيل الدفاع المشروع عن الوطن.

لقد اعتمد الكاتب في بنائه الفني على التوثيق مع إعطاء الحدث ما يستحق من عناصر القص التي هي التشويق والإدهاش والإيجاز في اللفظ والعبارة والنأي عن الحشو الذي لا طائل منه، مع تسريب نقد موضوعي لمواطن الخلل أينما وجدها، ومن عجب أنه لم يترك رداءة صنع ورقة السكاكر تمر دون الإشارة إليها، عندما لاحظ انحلال ألوانها على السكرة نفسها، إنها عين المصور الحاذق والأديب المتمكن صاحب الخبرة والتجربة، وقد عكسهما على نحو بارع في قصص قصيرة بلون الخاكي.

الدوامة البيضاء

قصة: أمل سلمان

تأمّلت جمانة قامتها المشوقة في المرآة، شعرها الأسود الناعم ينسدل على كتفيها بحميمية خاصّة، وضعت القليل من الكحل على عينيها الواسعتين، قلبها يدقّ بعنف، ابتسامتها راضية عن جمالها، واثقة بخطواتها.

اليوم هو اللقاء المنتظر مع حبيبها أحمد، اليوم تراه جسداً، تلمس يديه، تنظر في عينيه، تشتمّ عطره، تعرفت عليه من الفيس بوك، وهو الوحيد الذي مال قلبها له، برغم أنّه من بلد عربي إفريقي يختلف عنها في الكثير من العادات، إلّا أنّه تعلّق بها، أحبّها، دعمها وهي الأرملة الشابّة التي لم تبلغ الثلاثين بعدما تزوجت وهي تدرس في الجامعة في كلية الاقتصاد من ابن خالتها وسيم، لكنّها لم تكد تفرح بهذا الزواج، فقد استُشهد بعد ثلاثة أشهر من الزواج وتركها حاملاً بولده الذي لم يره، لتقع جمانة في دوّامة الموت الحياتية السوداء، ولتذرف الدموع، وتعانق تراب المقبرة التي دفنت بها حلمها وشبابها وذكرياتها التي لم تبدأ، سنوات قضتها مع اللون الأسود والمعاناة من نظرة المجتمع الضّيقة لها، وبعد ثلاثة أعوام من ترمّلها وعنايتها بابنها وليد أحبّت جارها الشاب حسام وأحبّها، وهو المهندس في مثل عمرها، لكنّ ذلك الحب قُتل في مهده لرفض أهله رفضاً قاطعاً لها، فالأعزب من حقّه أن يتزوّج عذراء، لا أرمله لديها ولد.

صُدمت جمانة بواقعها مرّة أخرى، وعادت إلى دوّامتها السوداء، لكنّ الحاجة للحب بقيت ملحّة كجسدها الشابّ الذي يتفتح كوردة عطرة ملونة على قارعة طريق محوطة بالأشواك، لجأت إلى الفيس بوك، تعرّفت على أحمد الذي ينشر في صفحته منشورات دينية ونصائح أخلاقية مهذّبة، توثّقت علاقتها به مع الوقت، وعرفت منه أنّه يعمل مدرّساً للتربية الإسلامية في بلده، ولديه معمل صغير لصناعة العبوات البلاستيكية، نشأ حبّهما، ونما يوماً بعد يوم، كانت تعتزل في غرفتها الصغيرة، وبعد أن ينام طفلها تتحدّث لساعات معه، تخبره بكلّ شيء، عملها، خلافها مع أهل زوجها الفقيد، مشكلاتها المادية التي تعوقها من أخذ شقّة لها، كان أحمد يرسل لها المال من وقت لآخر، ويطلب منها أن يتحدّث مع ابنها وليد، كان في البداية يتحدّث صوتياً، ثم تحدّث في الكاميرا، رأت وجهه الواسع، لحيته التي خضّبها الشيب، أخبرها أنّه في الأربعين، وسوف يتزوّجها ويأخذها معه لبلده الأمّ، وهو ما أسعدها وأشعرها بالثقة.

وبعد أيّام جاء إلى سورية، قاطعاً آلاف الكيلو مترات ليراها هي من بين كلّ النساء، تجمّلت، لبست أفضل ثيابها، وذهبت لاستقباله اليوم في مدينتها حمص، كان اللقاء متّفقاً عليه بينهما في(مقهى العائد)، استقلّت سيارة أجرة، تعتصرها مشاعر مختلفة من الخوف، الفرح، الشوق، لم تهتمّ للزحام في الطريق، ولا لأفواج الناس الذين يركبون مواصلات النقل الداخلي، المهم أن تصل، دفعت زيادة لصاحب السيارة الذي ناداها لتأخذ البقية الزائدة من المال، لكنّها أشارت له بأن يذهب، دخلت إلى المقهى، بحثت عنه بعينها كان واقفاً بطوله المتوسط ولحيته الكثّة وكرشه الصغير في إحدى الزوايا قرب نبته اصطناعية، ناداها بلهجة بلده الإفريقي: أهلاً حبيبتي (القمر جمانة)، احتضنها بحبّ، وبدأ يتفحّص بعينيه وجهها الناعم، وجسدها المتناسق الذي يظهر من تحت معطفها الأسود الطويل المفتوح وهي ترتدي بنطالاً من الجينز الأزرق وكنزة خضراء اللون... خاطبها مبتسماً قائلاً:

- أنتِ في الحقيقة أجمل.

أسنانه شديدة الصفرة، وجهه مترهّل، تبدو عليه علامات التقدّم في السنّ..

- شكراً لك، وأنت وسيم أيضاً.

قهقه عالياً:

-من أين الوسامة؟

ثمّ لمس بظاهر كفه وجهها الناعم، وقال بصوت عميق:

-يجب أن نتزوّج سريعاً.

أطرقت جمانة حزينة..

- ما بك حبيبتي؟

- لقد طرحت موضوع الزواج منك على أهلي، ورفضوا رفضاً قاطعاً.

- لمَ؟ لأنّني غريب؟

- نعم، نحن مختلفان في كثير من الأمور.

- الحبّ أقوى من المذاهب والعروق والبلدان، سأشتري شقة لك في دمشق، ثمّ آخذك معي لبلدي، وأنتِ راشدة، حقّك الاختيار.

- وابني وليد!

- نأخذه معنا أيضاً، سيكون مثل ابني تماماً.

أمسك بيدها بين يديه، تأمّلها بعمق وقبّل جبينها.

-اليوم حبيبتي جهّزي حقائبك، ونسافر معاً إلى دمشق، وهناك نسجّل زواجنا عند محامٍ.

هزّت جمانة رأسها موافقة، سعيدة، غادرت مدينتها مع ابنها من دون أن تودّع أحداً من أهلها، فكفاهم تدخلاً في حياتها خوفاً من الناس.

اصطحبها هي وابنها في سيارة خاصّة لدمشق، وأخذها إلى أحد المحامين، حيث كتبا عقد الزواج، ومن ثَمّ اصطحبها إلى شقة صغيرة في المزة، استغربت جمانة من معرفة أحمد بالحياة بسورية وبأحياء دمشق التي لا تعرفها شخصياً، ولكنّها خجلت أن تسأله.

كانت الشقّة متوسطة الحجم، مجهّزة بأثاث فاخر، وهو ما أدخل السعادة لقلبها، أخيراً سترتاح من غرفتها الصغيرة عند أهلها التي رجعت إليها بعد ترمّلها وخلافها مع أهل زوجها بعد موته، ستكون لها شقّة بالعاصمة، ومع رجل محبّ، برغم أنّها عرفت أنّه أخفى عنها عمره الحقيقي الذي اكتشفته أثناء العقد، وأنّه يقترب من الستين، أكبر من أبيها... لكنّها وافقت، فالحب لا يعرف عمراً، وهو ما أكّدته لها الأيام القادمة التي عرفت معه من خلالها الحبّ والشغف والثقة ولعدّة أشهر أحسّت بها، إنّها في الجنة، اصطحبها لكلّ أماكن الترفيه، اشترى لها ولابنها كلّ ما ينقصهما، إلى أن أتى يوم استفاقت ولم تجده نادته.. أحمد!! أحمد.. لم تجده في أيّ ركن في البيت، اختفى فحسب، حاولت أن تتّصل به، خطّه خارج الخدمة، سألت عنه في المستشفيات بلا فائدة.

مضت أيّام، يقتلها القلق والحزن والخوف، لم يجب أحمد على اتّصال، ولم يظهر، فقد اختفى كما ظهر، لم يترك خلفه أيّ أثر حتى ثيابه حاجياته كلّها اختفت.

لكن ترك لها مبلغاً كبيراً من المال، والذي لم يبق معها طويلاً، فقد اكتشفت أنّ الشقّة إيجار وليست ملكاً لها، وأنّ عقد الملكية بين يديها مزور، بحثت في أوراقها جيّداً، علمت أنّ الأوراق السليمة هي جواز سفرها الذي لن تستخدمه بعد أن اختفى أحمد متولي إلى الأبد، وأنّها الآن فقدت أهلها وحلمها ودخلت في دوّامة بيضاء، دوّامة الخديعة المرّة.

تضحية

قصة: أحمد كريدلي

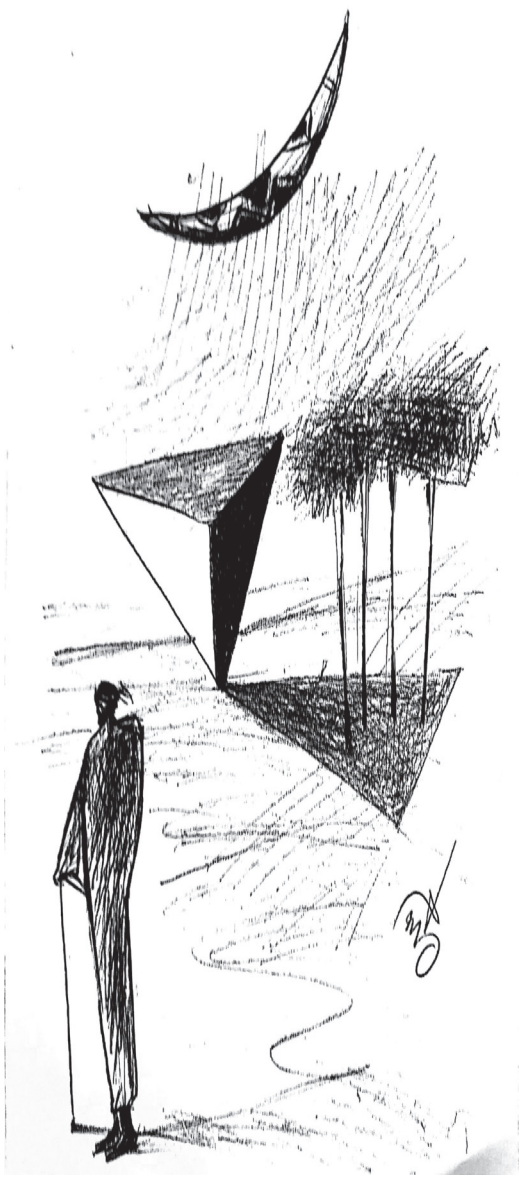

عند الفجر وقبل صعود الشمس إلى كبد السماء أخذ يحاول جاهداً أن يصل إلى تلك النقطة كي لا يشاهده أحد وهو يدخل منزله بتلك الثياب أخذ يمشي تارةً ويهرول تارةً أخرى إلى أن وصل إلى منزله مد يده إلى جيبه الصغير، وأخذ يبحث عن مفاتيح منزله لكن... من دون جدوى فقد تذكر أن ابنه أخذ المفاتيح في المساء ولم يرجعهم.

كان صعباً عليه أن يوقظ عائلته وهو يطرق على الباب بتلك الثياب، لكن لا مفر.. دعا ربّه أن تستيقظ زوجته قبل أن يستيقظ أحد من أبنائه ويفتح له الباب، وبدأ بالطرق على الباب.. طرقةً متثاقلة تلو الأخرى، وأخيراً سمع صوت أقدامٍ تسير نحو الباب، ومع كل خطوة أحس بقلبه ينبض بسرعة وكلما اقتربت الخطوات أكثر كاد قلبه أن يقف إلى أن سمع وقع المفتاح في خرم الباب، وسمع صرير مفصلات الباب.

وأخيراً.. أحس أنه قد ولد من جديد فقد كانت زوجته هي من فتحت الباب له وكان أبناؤه لم يستيقظوا بعد، فأسرع إلى الحمام وأخذ دوشاً سريعاً، وفي تلك الأثناء كانت زوجته قد أيقظت أبناءه، وحضرت له فنجاناً من القهوة وجلس في غرفة المعيشة ليرى أبناءه قبل ذهابهم إلى مدرستهم، وذهابه إلى عمله حسبما يظن الأبناء....

وفي سرورٍ كان يبتسم وهو يراقب ملامحهم الجميلة «من أجلهم سأفعل المستحيل».

تسوية حساب المهووسين بالكتب

ياروسلاف هاشيك *

غسّان كجو/ لوسي قصابيان

(×) ـ ياروسلاف هاشيك (1883-1923) كاتب تشيكي ساخر، وصحفي لامع، اشتهر بروايته (الجندي الطيب شفيك) التي تُرجمت إلى نحو 60 لغة من بينها اللغة العربية، وصدرت عن وزارة الثقافة السورية في العام 1986 بترجمة توفيق الأسدي، كما نشر نحو (1200) قصة قصيرة في الصحف والمجلات التشيكية، وقصته المنشورة هنا: (قبل عشرين عاماً) تُترجم للمرة الأولى إلى اللغة العربية.

ما من شيء في حياة المرء أرهب من الوقوع بين أيدي صديقات الأدب، هاتيك السيدات الصغيرات، يجمعن حولهنّ في الصالونات المهووسين بالكتب، ويُقمنَ كلّ يوم أُمسيَّة أدبية تُقدَّم فيها الشاي للمشاركين فيها ويَنال كلُّ واحدٍ من محبِّي الأدب شطيرتين بالعسل.

الحقيقة أنني لم أكن مُلزَماً بالمشاركة في الأمسيّات الأدبية التي تقام في صالون السيد هيرزانوڤا، لكنني لم أشأ أن أضع صديقي في وضع مُحرج، وكنت قد كذبتُ عليه ذات يوم مدَّعياً أنَّ لديَّ مجموعة من أعمال حافظ الشعرية بالفارسية، غلافها مصنوع من جلد الإنسان، فنقل ذلك الكائن البسيط كذبتي إلى المهووسين بالكتب، وكانت السيدة هيرزانوڤا، راعية المهووسين بالكتب، وقد سمعت هي أيضاً أسطورة كتاب حافظ العجائبية المعجزة، فرغبت في التعرُّف إليّ، في الصالون، رأيتُ اثني عشر مهووساً بالكتب، لطفاء يتطلَّع الأدب العالمي برمَّته إليَّ من خلال عيونهم، ولمّا لاقى قدومي إليهم ترحاباً منهم، وَقَرَ في عقلي أنيّ لكوني مالكاً لمجموعة حافظ النادرة، يحقّ لي أن أتذوّق أربع شطائر بالعسل، فتناوَلْتُ على التوّ أربعاً من الصُحْفة الكبيرة، أما الآنسة الجالسة إلى جواري، ذات النظّارتين فلم تحصل على شطيرة واحدة.

ولَكَمْ تأثَّرت الآنسة من صفاقتي بحيث راحت تتحَّدث عن الدلالات الأخلاقية لإبداعات غوته.

فسألني بحّاثة أدبيٌّ ما، جالس قبالتي:

هل تعرفون غوته حقّ المعرفة؟

من رأسه إلى أخمص قدميه، -أجبتُ بجدِّيَّة- وهو ينتعل دائماً حذاء أصفر، وقبعته مدعوكة وقَذِرَة، أظن أنه الآن متقاعد ويقيم في سميخوف.

راح المهوَّسون بالكتب ينظرون إليَّ نظرة لوم وأسى.

أرادت راعية الصالون أن تنقذ الموقف، فدَنَتْ منّي باسمةً وسألتني:

هل يثير الأدبُ اهتمامَكم كثيراً؟

أيتها السيدة الجليلة، -قلتُ- لزمن ما، كنت أقرأ كثيراً، فقد قرأت حتى النهاية (الفرسان الثلاثة)، و (قناع الحب) و(الكلب الباسكي) وروايات الحُبَّ المنشورة في الملحق الأدبي لـ(صحيفة السياسة)، كانت المطالعة تنتزع منّي كل وقتي، إنّ ما يُدعى كتاباً هو شيء مثير تماماً حينما يكون مزاجي معكراً، آخذُ في قراءة روايات المغامرات (لورنز والحرامي) قرأتُها ثلاث عشرة مرّة، أجل، في الماضي كنت أطالع كثيراً، لكن الآن، ما من كتاب يثير اهتمامي، أُمْتُقِع أصدقاءَ الأدب، بينما رمقني رجلٌ ملحاح بنظرة نَسْريَّة حادة، وسألني بحدَّة اتهاميّة لقاضي تحقيق:

أما تهتمُّون أيضاً بزولا؟

أعرف عنه الشيء القليل، فقد سمعتُ فقط، أنه استُشهد في الحرب الفرنسية – الألمانية.

أمّا موباسان! فهل تعرفونه؟ - سأل الرجلُ الغاضبُ ذاتُه، لقد قرأتُ له (القصص السيبيرية)

لا تبجّ حماقات! صرخت الآنسة ذات النظارتين، الجالسة جواري، (القصص السيبيرية) كتبها كورولنكو أما موباسان فهو فرنسي.

لقد بدا لي أنه هولندي، - دافعت عن نفسي - لو أنه فرنسي حقاً، فليترجم (القصص السيبيرية) إلى الفرنسية.

هل تعرفون تولستوي؟ - صَدَحَ صوت السيدة هيرزانوڤا.

لقد شاهدتُ جنازته في السينما، لكنَّ كيميائياً كبيراً كتولستوي، كان جديراً بجنازة أكثر مهابة.

ران الصمت على الجميع برهةً، أما البحّاثة الأدبي فقد رازني بعينين محتقنتين وسألني بتهكمٍ حادّ:

على الأقل، هل أنتم مطَّلعون على الأدب التشيكيّ؟

قرأتُ (كتاب الأدغال) وبرأيي أنَّ هذا كافٍ، - قلت ذلك بحدّة.

تدخَّل سيّدٌ صَموتٌ ضارباً جبينه براحة كفِّه:

لكن كيبلنغ إنكليزي.

صحتُ متألّماً: أيّ كيبلنغ وأيّ إنكليزي! أنا أتحدّث عن (كتاب الأدغال) لدوشكا.

تهامس اثنان من المهووسين بالكتب؛ على مَسْمَعٍ منّي:

العمى، هذا بهيمة! اقترب منّي شابٌ شاحبُ الوجه، طويلُ الشعر، عاقداً يديه على صدره:

أنتم لا قِبَلَ لكم بتحسُّس الجمال، أنتم غير قادرين على تقييم تلاوين الكلام الماسيّة، حتى سِحر الشعر يظَلُّ بعيد المنال لديكم، هل تذكرون يا ترى ذلك المقطع من شعر ليليانكر، حيث جَمال الطبيعة بأكمله مُلَخَّصٌ بكلمات: السُحُبُ تَسْبَح، تُحَلِّق السحب الزرقاء تسبح في أعالي الجبال فوق السهول، لكأنما الغابةُ عِقْدٌ أخضرُ...؟) ثم رفع صوته وتابع كلامه مُسْنِداً يده على كتف جليسي المجاور:

أوَهَلْ قرأتُمُ (النارَ) لدانُو نْدزيو، لو كنتم قرأتم تلك الدُّرَّة الرائعة التي أدرجَ فيها احتفالات فينيسيا؛ التي هي أيضاً رواية حب لا مثيل لها... لامس صدغَه برأس سبابته وركَّزَ بَصَرَهُ عليَّ، لم أدعْه ينتظر طويلاً، لم أفهمكم جيداً! أقصد، ذلك الدانو ندزيو لماذا درَّجَ احتفالات فينيسيا إلى النار؟ وأي عقاب نال على شروره؟ دانو ندزيو أشهر شاعر في إيطاليا، علقت الآنسة الجالسة بجواري، ذات النظارة، أَمْرٌ مثير! رَدَدْت باستغراب بريء، أَمْرٌ مثير! - صاح سيِّدٌ ما مُسْتَفْرِداً مقلِّداً حركاتي وكان حتى تلك اللحظة صامتاً لم ينبس بحرف -هل تعرفون على العموم أيَّ شاعر إيطاليّ؟ بالطبع! مثلاً، أعرف روبنسون كروزو، - أجبته بتعالٍ، بعد هذا الجواب نظرتُ متلفِّتاً حولي: أصدقاء الأدب الاثنا عشر والمهووسون بالكتب الاثنا عشر، شاخوا وشابوا خلال طرفة عين، والذين شاخوا وشابوا رموني إلى الشارع من الشبّاك!

«الرياح العاتية»

قصة: سبيت سليمان

نفخت الريح ذات ليلة حمراء بوقها في جذع شجرة غافية حانية على ثمرها كي ينضج، هبت الريح النرجسية تشطب غصناً وتخنق برعماً، وتمزق وجه الزهر.

ريح عاتية: محملة بالرمال، الرمال لا يمكن أن تتجانس ولا تحب بعضها بعضاً فهي ليس لها وجه، لا تندمج مع بعضها ولا مع أهلها منفردة متحجرة ليس لصحبتها دفء ولا وفاء لا تميز بين الأخ والصديق، مغرورة شرسة محملة بالرمال الغادرة التي لا تعرف صديقاً وترى كل من يخالفها عدواً، تهب على أهلها، فلا تقدر عمق سنين الجد، ولا تراعي اللون الأبيض الذي زين شعره.. وترقص الريح بالرمال.. تتطاير تضرب أخاها وابنها، تهبّ هبها الشديد على إخوتها وأهلها قبل غريبها، غير مدركة لمآلها.. أنَّ الرياح تهدأ، وكل الرمال تسقط، والرمال التي تسقط في غير أرضها، تمسح.. ثمّ تطؤها كل الأقدام.

ريح عاتية: لفّت الجذع تريد انتشاله، تباهت، تعاونت مع الرياح الغربية، حاولت انتزاع التراب من حوله، تمسك الجذع بالتراب وتمسك التراب به.. فالجذع لا يغير ترابه! والعلاقة السرمدية بينهما لا نهاية لها.. وتغيير الجذع لترابه يسقط روحه، ثم يميت زهره.. وينهي لذلك وجوده..

الريح نفخت بوقها بشدة.. واستعارت أبواقاً مجنونة غريبة، وأخذت تشد جذع الشجرة، ثمّ استنجدت بالأنياب الخائنة، هبشت رحيق الزهر، وبعثرت الأوراق، ولم تميز بين برعم أو زهرة أو غصن أو حتى ورقة.. لا الخضراء منها ولا اليابسة، هكذا هي الرياح الرملية القادمة من الصحراء، لا تعرف للنغمة رنيماً، ولا للبسمة بهجة، ولا تشم عطر الياسمين...

لكن الجذع حمل عطره ونَثره... صامداً في وجه الريح العاتية.

ريح عاتية: لبست ثوب الهواء العليل.. تمايلت بين جبل وسفح، تزينت بالمساحيق، وتعطرت علّها تخفي رائحتها النتنة، أخفت وجهها الأسود الملطخ بالرمال الحمراء.. وضعت كل الألوان ولبست كل القفازات ظناً أن أنيابها لن تظهر، وأن شرّها لن يبان، ورفعت الشعارات الطنانة! وقالت إن الحرية تُستقدم بالأنياب، ونادت الأوراق.. إلى الحرية، نادتها أن تترك الشجرة وتتحرر.. أن تنطلق إلى الهواء مع الريح العليلة.. وتتحرر! أن تعيش وتخرج لترى الحياة خارج الشجرة.. وتتحرر! لكنها لم تخبرها.. أن الأوراق عندما تُنزع عن أغصانها.. تموت، لكن الجذع توزع أكثر في عمق التربة وازداد قوة وصلابة، وصفع الريح بأزهاره، وانتشر عبقُ عطرِه يميناً ويساراً محطماً أعاصير الرياح العاتية، فوق قاسيون الأشم.

ريح عاتية: زادت نفخات أعاصيرها، والجذع علا صوت أنينه واشتد عليه ألمه، لكنه لم يصرخ، ولم يبكِ، يمسح نبع الدمع قبل أن يظهر، وبقي يزهر وبقي يثمر.. مثيراً غيظ الريح الشمطاء الشاردة لملامة الغبار، التي أخذت تحضر ما تناثرته الزوابع من بين الزوايا ومن الأزقة في كل أرجاء الأرض، وتتباهى بأنها عاتية، خلعت الأقنعة وبان وجهها الحقيقي الغائر في السواد الكاحل وفي الصفرة الدامية.

ريح عاتية: سواد وجهها وجحد قلبها وأنيابها المدمات، وقصر نظرها وقلة وفائها، لم يجعلها تنظر إلى اللون الوردي المكنون في الزهر المفعم بالحياة، الذي يستقبل ضوء الشمس مبتسماً، يعانق زرقة السماء مصافحاً صفاءها، غير مستوعبة ابتسامته رغم الألم الشديد.

ريح عاتية: كلما نظرت في المرآة اشتدت زئيرها من سواد وجهها، لم يدرك الجذع أن عمقه وتشبثه في الأرض، سوف يجمع عليه رياح الأرض الآثمة كلها، ليتشابك الشرّ مع الشرّ، وتلتقي بذلك الوجوه الكالحة.

وعلا حينها الصراخ.. لكنه ليس صراخ الجذع، لا! بل علا صراخ الريح العاتية نفسها، فبعد أن لثَّمت وجهها بالدم علّه يصبح ورديا، لتتباهى به كما تباهى به الجذع عبر العصور.. وبعد أن نظرت للمرآة، صفعتها المرآة! وأظهرت وجهها الحقيقي الأسود من جديد، وارتد زئيرها إلى صدرها، ولأنها خاوية القلب تحوّل الزئير إلى صدًى فيها، وبدأ ينهش فيها نفسَها.

ريح عاتية: نسيت أو تناست أنها تضعف عندما تواجه مصدّات مرصوصة متناغمة متعاهدة، فالجذاع ملتفّ على الجذع، والزهر يعانق الزهر، والقمر يرسم الدرب للضحكات والزغاريد، والأيدي تتشابك.. والقلوب تتآلف.. لزرع الغار، واستبدال الياسمين بشقائق النعمان.

قصيدتان

شعر: عباس السلامي- العراق

أسئلة الوجع

آه
من هذا الضوء الجاثم
على جهاتي
لمَ هو حالك بالعتمة لهذا الحد؟
تَخطيتَ ظلكَ
كيفَ اقتربت
وما بين عينيكَ وشمٌ
وفي فسحة
من نبضكَ الغضّ
تلهو الشراك ؟
ماذا أفعل ..؟
هي قامتي التي
بعدُ لم تنهجَ عادة الانحناء
أحدّقُ في الكأس ملياً
فلا أرى – كما زعموا- النصف المتلئ
فيها
أتُرى عيني هي اليابسة أمْ الكأس؟
تراءى لي
أني على الضفة الثانية
تُرى
أيّ رؤية تصحّ
وسط هذا السراب؟
الى أيّ الجهات
ستفضي بنا أيّها التيه؟

يا أمّاه

يا أمّاه
أرى عينيكِ قدْ ذَبُلَتْ
وذابَ بريقها
وسناه،
أرى عينيك
مرَّغها الظلام المُر
وا أسفاه
فكم يا أمُ
يحزنني،
يبعثرني
أرى ما لا ترى عيناكِ
لكنّي
أساءلُ عنهُ
ما معناه؟
فدون بريق عينيك
الخطا تاهت
بدربٍ طالَ
ما أقساه!
يا أمّاه
هذا الدربُ أتعبَني
وهذا الليلُ أرعبني
فوجهُك
كان لي قمراً
يطلُّ عليَّ
ما أحلاه!
يا أمّاه
سنون العمر قد أزفَتْ
وقلبي
لم يزلْ يا أمُ
رهنَ الحزن في منفاه
فهل من طلةٍ منكِ
تبددُ حزنهُ وأساه ؟

أجنحةُ السَّلام

شعر: ثناء مزيد نصر

حبّاً ستُزْهرُ أرضُنَا وتُصَانُ
وكَأَنَّمَا أَرْضُ الشّامِ جِنَانُ
تَزْوِيكَ نَجْمَاتُ المُنَى مِنْ نُورِهَا
فيَشِعُّ فِي إِنْسَانِكَ الوجْدَانُ
هيّا نضيء بالخير أغنيةَ المدى
تصحُو على وترِ الضّحى ألحانُ
نُعلي سياجَ العِلْمِ في وجهِ الدّجى
علْمٌ تصونُ ضياءَه الأجفان
بالصّدق والعدل ارتوَتْ أخلاقُنا
جذرُ الحياةِ بغيثِنا ريّانُ
نَحيَا مَعاً.. نَزْهُو مَعاً.. نَمْضِي مَعاً
يَروِي زُهُوْرَ دُرُوْبِنَا الإيْمَانُ
غنّى السّحابُ فيا عيوني أبصري
كَمْ لِلْعَطَاءِ تَهَدَّلَتْ أَغْصَانُ !
لا لِلْأَسَى فَالرُّوحُ مَلَّتْ صبرَهَا
حتّى ذوى في صدرِنا الرّيحانُ
أَمْسِكْ يَداً فوّاحةٌ أطيابُها
وارفِقْ بِهَا إِنْ جارَتِ الأَزْمَانُ
جئنا نداوي بالتّسامحِ والوفا
كن بلسماً تُشفى به الأشجانُ

قميصُ شوق

شعر: أماني نقار

حزني بفقدكَ ليسَ يبلغُ حدَّه
أقبِل فصدري قِبلةٌ مُمتدَّه
يا شارعَ الذكرى أمامَكَ واقفٌ
بلغَ الحنينُ من الدموعِ أشُدَّه
وأخافُ ذرفاً للمشاعرِ بَغتةً
وأخافُ من دمعي يلامسُ خدَّه
لي من رموشكَ قصّتانِ ودمعةٌ
أخشى على سيفٍ يودّعُ غمده
شاماتهُ تمرُ العِراق جمعتهُ
من ذا سيجمعُ تمرَهُ إنْ عدّه
وشربتُ نخباً زاهداً فيما مضى
من يُقنعُ الصوفيَّ ينسى زهدَه
أطفئ لهيب الشوق لا تُحرق دمي
لا ينكرُ المشتاق ظلماً عهدَه
أسستُ للحزنِ اليتيم جنازةً
وحدادَ دهرٍ للهوى أو عِدّه
أرسلتُ قلبي في الرسائل آملاً
قد ردّني يوم الرجاء وردّه
وجلستُ أرقبُ نجمةً صيفيةً
عقلي بحسنكَ كادَ يفقدُ رُشدَه
وتعطلّت لُغة الكلامِ هنيهةً
فترى فُراتَ الدمعِ جاوزَ سدّه
نورٌ مِنَ الأمسِ البعيدِ لمحتهُ
هو مُرشدٌ والربّ يقصدُ مدّه
فيُعيدُني طفلاً بوجهٍ ضاحكٍ
فإذا رجعت إليه أشبهُ جدّه
عندي حمامٌ للرسائلِ حاملٌ
أرسلتُ حتى كادَ يسكنُ عِندَه
يا عارفاً بالقلبِ عانق ثورتي
أشعلتُ قلبي كي أُسكّنَ بردَه
قلبي بمشكاةِ الغرامِ مُعلّقٌ
لا عاشقٌ يجتاح قلبي بعدَه
أمسي ويومي واحدٌ لمّا دنا
بقميصِ أشواقي فكدت أقدّه

حوار الصمت

شعر: ربا أبو طوق

همستْ له
حتَّى متى
سيظلُّ وجهكَ هارباً من حاضري
وأنا الرّبيعُ المستريحُ
على تفاصيلِ الدّروبِ
فأينما ولَّيتَ روحكَ تلتقي ببشائري؟
حتى متى
ستزورني متنكراً باسمٍ غريبٍ
حاضناً لقصائدي في مقلتيكَ
وجائعاً لخواطري؟

حتى متى
سيظلُّ حبّكَ موطناً أحيا بهِ
وأضمهُ بيني وبينَ دفاتري؟
فأجابها:
لو تعلمين حبيبتي كم مرّةً
نادمتُ صورتك التي علّقتها في ناظري؟
كم مرّةً
ناديتُ اسمك في المدى
وصرختُ من وجعي
ونزفِ مشاعري؟

كم مرّةً قرّرتُ
أن آتي إليكِ مسامحاً
كلَّ الحرائقِ في زوايا خاطري
لكنَّني
ضيعتُ عمري في الهوى
لمّا انتظرتُ مراهناً أن تُهزمي
وإلى الرّجوعِ تُبادري؟

أجوبة لسؤال أخضر

شعر: خالد إبراهيم ليلي

لأنك مرهف فهواك بردُ
هوى بلقيس ريٌّ فيه شهدُ
لأنك قد خلقت من القوافي
فما للشعر في عينيك بدُّ
لأنك غيمة هطلت عبيراً
تبرعم في مروج الأرض وردُ
وقبلك لم يكن للروح جدوى
ولمّا جئتني طارت تمدُّ
وقبلك لم يكن شيء جميلاً
حلا الأشياء ما ألقاك يبدو
وقولك يا حبيبي في صباحٍ
شهيٌّ دافئ الأنفاس ندُّ
فغنيلي ككاظم: ها حبيبي
لكي يرتاح قلب فيه صدُّ
وغنيلي لناظم أو حميدٍ
وقولي يا حبيب الروح: بعدُ

أنت المُقْصَدُ

شعر: ثائر عيد يوسف

لو رحت أكتب في جمال حبيبتي
لرأيتني مهما اقتربت سأبعدُ
الشمس تنهل من لجين جبينها
والورد في وجنات خدّ يرقدُ
والليل يسرق من ضفائر شعرها
كي يهمس البدر المنير وينشدُ
يا ليت شعري لو يسيل بيانه
إن الجمال بكل حرف معبدُ
يا ذات وجه في الظلام مُصَبِّحٍ
طيف القصائد في الظلام مسهّدُ
لو أنني غازلت ألف حبيبة
ضاع المرام وأنتِ أنتِ المقصدُ
ما لي وآلاف النجوم تهيم بي
أوهام طيف لو يبين الفَرْقَدُ؟
ما كنت أحسب للعيون جمالها
والكحل من همسات جفنك موردُ

صوت جدي

شعر: علي المزعل

هناك خلف التلال
خلف أسلاك الغزاة
قبر أبي ومحراثه
وصوت جدّي ينادي
السحاب.. ينادي المطر
وفي كفه منجلٌ من رصاص
وصرةٌ من بذور الحياة
صوت جدّي من تراب الحقول
على موعدٍ مع فصول الحياة
وفي كفّهِ قنديلُ زيتٍ ونار
يضيء الطريق للعائدين
يشقُّ لهم دروب الحقول
لِتُعشبَ الأرض خلف أقدامهم
هناك خلف التلال
على خدود الصخور

يسيل قلبي أناشيد عشقٍ ونار
وأجراس قطعاننا تُنادي خيوط
الصباح
مسربلاً بالندى والأريج
هناك خلف التلال
تنام شمس أحلامنا
وفي كل ينابيعنا الصافيات
ظلالٌ لوجه القمر
هناك خلف تلال الندى
مواويل أهلي وأحلامهم
وصوت جدّي كرعد الشتاء
وبرق الشمال.. وبرق الجنوب
صوته من صخور البلاد
ينادي السحاب.. ينادي المطر
صوته من ذؤابات اللهب

يا قطار؟

شعر: رضوان الحزواني

أطلْتَ السّرى يا قطارْ!
لماذا إخالُكَ ترتدّ للخلف تحتَ الغبارْ؟
وَحين أغنّيكَ تخنقُ صوتي، وَتنفخُ نارْ؟
أأعياك همُّ السّفارْ؟

وَأبصرُ خلفَ الزّجاج شريطُ قفارْ
وَرَهطُ طواويسَ تنشرُ ذيلَ غرورْ
تتيهُ، وَيُعجبُها ظلُّها أنْ يطولْ!
وَلم تدرِ أنّ الظّلالَ تطولُ قُبيل الغروبْ؟

أغنّي، أغنّي وَفي القاطرةْ
وُجوهٌ إذا رفّ شوقٌ تفتّحُ أجفانَها الفاترةْ
تزيحُ السّتارَ لتعلمَ أينَ وصلتَ بها يا قطارْ؟

وَتمضي وَئيداً.... وَتقتلُني لهفةً وَحنينْ
أودُّ لَوَ انّ لديكَ جَناحْ
لأدركَ قبلَ الغروبِ لقاءَ الحبيبةْ
لَوَ انّكَ تُومضُ سيفاً أمام السّنينْ
وَتنشدُ إلياذةَ الفاتحينْ

لألقى الحبيبة هذا النّهارَ وَضيء الجبينْ

إلى أينَ تمضي بنا يا قطار؟
وَيَشربُ نسغَ نخيلي، وَماءَ جَداوليَ العنكبوتْ
إلى أينَ تمضي وَخَطُّ الحديدِ إلى يثربِ
تعطّل منذُ زمانٍ بعيدْ؟
تعطّلَ يومَ صَحا كوكبي
وَيومَ تعلّقَ خيطَ العناكبِ حلمُ غبيّ
فليتكَ كنتَ طليقاً لألثمَ تُربَ النبيّ

ألا تستطيعُ التفاتاً؟.. ألا تستطيعْ
ألم تكُ ذاكَ الجوادَ الأصيلْ؟
ألم تكُ يوماً لكَ الأرضُ تسرحُ فيها..
تَصولُ.. تجولْ
إلامَ تظلُّ أسيرَ خطوطِ الحديدْ؟
أتبقى حياتَك تمشي كما قدّرَ الآخرون؟
إلى أين تمضي؟ وَكلُّ المحطّاتِ فيهنّ روْمْ
وَشرطةُ قيصرْ
تحوّل كلَّ خطوط الحديدِ إلى باب خيبرْ

وَزُرقٌ الثعالبُ تُفسدُ كرمي
وَتنصبُ بينَ الدّوالي شراكاً لصيدِ الطّيور
أتحلمُ بالوردِ والياسمين
بأغصان زيتونةٍ يبستْ منْ سنين؟
وَها هوَ قيصرُ لبّى نداءَ امرئ القيسِ، أرسلَ
جندهْ
وَهذا السّموءلُ باعَ الدّروعَ وَأسيافَ كِندَا
وَأنهبَ تمرَ نخيلي، وإبريقَ نفطيَ للعابرينْ
وَ"نقفورُ" دكّ حُصونَ الرّشيدْ
وَأندرَها أنْ يرفّ ببغدادَ طيفُ الجدودْ
أتحلمُ بالغارِ فوقَ الجبينْ؟
وَيسبي يهوذا الحمائمَ، يُحْكِمُ قيدَ المسيحْ
وَيسحبُ من تحتِ أقدامنا الدّامياتِ بساطَ
الفتوحْ
أتحلمُ بالوردِ والياسمين
وَقيصرُ يكسو امرأ القيسِ ثوبَ المَنونْ؟
أما آنَ أنْ تتنبّهَ يا ذا القروحْ؟
أتبقى خدينَ العذارى بدارةِ جُلْجلْ؟
أتستعذبُ الخمرَ، وَالرّومُ بينَ الدّخولِ
فَحْومَلْ؟
أما آن أن تتنبّه يا ذا القروح؟

# # #

إلى أين تمضي بنا يا قطار؟
ظمئتُ إلى ثديِ أمّي.. سئمتُ حليبَ العُلبْ
ظمئتُ إلى ماءِ زمزمَ أروي غليلي وَأطفئ
جمرة همّي
إلى قطراتٍ تبلّ شفاهي وَتبرئ سقمي
لأتلوَ قرآنَ حُبّي الكبيرِ

ألا أيّهذا القطارُ العظيمْ
ستبقى -وإنْ حاصروك- القطارَ العظيمْ
لأنّي أحبُّك أمسحُ عنْ مقلتيكَ الغبارْ
لتمضي سعيداً، لتسلكَ أشهى مسارْ
أغنّيكَ حُبيّ لتمضي رسولَ نهارْ
فهيّا.. وَأسرعْ بنا يا قطارْ
فهيّا.. وأسرعْ بنا يا قطارْ

رابطة وادي النضارة للثقافة والفنون

في منطقة وادي النضارة بريف حمص، حيث يتلاقى التاريخ مع الجمال والحضارة، برز مئات الشعراء والأدباء الذين تغنوا بجمال طبيعة قراهم ووثقوا بكلماتهم وتراكيبهم كل مناسبة اجتماعية ووطنية، فكانت أشعارهم ونتاجاتهم الأدبية ذاكرة حفظت تراث الأجداد، لتتناقلها الأجيال تحت جناحي رابطة أرادت أن تحتضنهم وترعى إبداعهم، وهي رابطة وادي النضارة للثقافة والفنون.

يوضح مؤسس الرابطة الأستاذ في كلية الآداب بجامعة البعث الدكتور جودت إبراهيم عضو مجلس اتحاد الكتاب العرب أن فكرة تأسيس الرابطة لمعت في ذهنه حين وجد في وادي النضارة وفي ريفه أن المرء يعبر عن الحب بالأغاني والأشعار والميجانا والعتابا والمعنى والزجل، فأخذ على عاتقه توثيق كل تفصيل بشأن هذا الأدب الحافل بالموروث الاجتماعي من حكايات شعبية وغيرها.

ولفت إلى أن الرابطة التي تأسست منذ نحو عام تهدف الى تعميق الوعي الثقافي لدى أبناء الوادي، وتوسيع دائرة التعاون بين الأدباء والمفكرين والباحثين والأكاديميين والمثقفين والمبدعين ومع المراكز الثقافية المنتشرة في المنطقة لما يجمع بينها من أهداف ثقافية مشتركة.

وعن مشروع موسوعة الشعر الشعبي في وادي النضارة الذي يعدّ أبرز مشروعات الرابطة عدّ إبراهيم أن الأدب الشعبي مكون أساسي من مكونات ثقافة الأمم ومظهر من مظاهر سلوكها وجزء رئيس من ذاكرتها في الماضي والحاضر، واستمراره ضروري، ودعمه واجب وطني وأخلاقي.

جدتي وأمي وأنا

مذكرات ثلاثة أجيال من النساء العربيات

تزامناً مع الحرب الظالمة على غزة، صدر كتاب «جدتي وأمي وأنا.. مذكرات ثلاثة أجيال من النساء العربيات» لمؤلفته «جين سعيد مقدسي» شقيقة المفكر الراحل إدوارد سعيد.

كتاب يؤسس طريقاً لوطن مطبوع بخرائطه ومدنه وشعبه وحكايات أبنائه، من خلال استحضار مفاتيح العودة التي تحفظها الجدّات في القلوب والضرب بقوة على أوتار الذاكرة الفلسطينية، لمزيد من الارتباط بالأرض والاستمرار في مقاومة الاحتلال.

يُبرز الكتاب بطولات المرأة الفلسطينية في أبهى حللها، وجمال المدن الفلسطينية قبل الاحتلال، وطبيعة ما كانت تنعم به العائلات الفلسطينية من استقرار قبل إعلان قيام الكيان الغاصب.

والكتاب الذي يدافع بقوة عن التاريخ الضائع، والجغرافيا المغتصبة، ويعيد الاعتبار للنسوية العربية، ليس مجرد سردية للذكريات والروايات العائلية، وإنما هو مذكرات تتناول تجارب الحياة الشخصية في سياقها التاريخي والسياسي والاجتماعي، من خلال حكايات ثلاث نساء من أجيال متتالية، يشكلن امتداداً عائلياً وتاريخياً، وتلتحم رواياتهن كلوحة فسيفساء تبدأ مع الجدّة "منيرة" وتستمر مع الابنة "هيلدا" وتنتهي مع الحفيدة "جين".

تتذكر المؤلفة أفراد عائلتها وأقاربها وبيتهم وحياتهم في القدس، وتتحدث عن شقيقها إدوارد بحميمية وتقول: "مع أن إدوارد كان يقع في كثير من المشكلات بسبب شقاوته، فإنهم كانوا يتقبلون شقاوته بشيء من الإعجاب، أما أنا وأخواتي البنات فكان يتم تشجيعنا على السلوك اللطيف، ومع إن إدوارد كان يشاكسني بلا رحمة خلال طفولتي، بل حتى عندما انتقلنا من الطفولة إلى الشباب، فإنه صار بالنسبة لي أيضا مثل والدي، وربما بتوجيه جزئي من والدي ووالدتي أصبح مثالاً للرجولة، كانت عبارة «أخوك» تتردد أصداؤها عبر سنوات طفولتي وبداية شبابي، وتكاد تعلن دوماً عن الفخر بإنجازاته ووسامته».

قراءات في الشعر والعروبة من الجاهلية حتى القرن العشرين

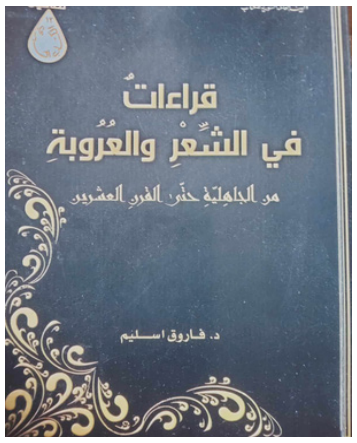

كتاب جديد للدكتور فاروق اسليم عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب، يجمع بين البحث والنقد والخوض في عوالم وأفكار شعراء العصور بمرورها بمختلف الثقافات والمتغيرات .. إلا أنه يؤكد دور الشعر في حماية الثقافة العربية منذ بداية العصر القديم لأنه سيبقى ديوان العرب، الذي يمتلك قدرة ظاهرة على التأثير والتوصيل والتلقي الواسع، ولا سيما الشعر القومي العربي وشعر المقاومة للعدوان الأجنبي على الأمة .

كتاب يركز على وعي العروبة في التشكيل الحضاري للأمة العربية، ودور هذا الوعي في مقاومة العرب للعدوان الأجنبي منذ ما يسمى العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، وهو من أكثر الكتب توثيقاً لأهمية العروبة في الشعر العربي.

الرسام الصغير

قصة طويلة للأطفال للأديبة أميمة إبراهيم، تهدف إلى تعليم الأطفال قوة الإرادة وتنمية مواهبهم، والتخلص من الخجل والحرج في عرض ما يصلون إليه من إبداع.

وفي القصة تسلط الأديبة إبراهيم الضوء على إيجابيات الأسرة المتحابة، التي تسعى إلى العلم من خلال نصيحة الأخت لأخيها، كي يجلس في حديقة البيت ويرسم ما يراه من جماليات، ستصل إلى الإبداع عندما يصمم على رسمها.

وتكشف الأديبة أميمة ابراهيم من خلال الطفل بطل القصة أشكال الحيوانات الجميلة والبيئة والطبيعة، من خلال رسمه الشمس والغيم، والسماء والخروف والتمساح، ليخلق بيئة وعالماً قريبين إلى قلبه وقلوب المتلقين في المجتمع.

كما انتقت بعض الحيوانات المهمة ليرسمها الطفل، وليشكلها مع جماليات الألوان والطبيعة، ولا سيما المفيد منها كالحصان والأرنب وعلاقتهما بالطبيعة والفضاء، وظل الطموح من مقومات القصة، لأن الطفل الذي أدهش أباه عندما شاهده يرسم، كان يسعى ليدهش معلمته التي أثنت عليه وفرحت به، وبشّرته بأنه سيكون فناناً مرموقاً في المستقبل.

تعزية

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء مجلس الاتحاد يتقدّمون بأصدق التعازي من الزميل الناقد الدكتور غسان غنيم عضو اتحاد الكتاب العرب رئيس فرع ريف دمشق للاتحاد بوفاة والدته سائلينَ المولى أن يلهم أهلها وذويها ومحبيها الصبر والسلوان.

تعزية

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء مجلس الاتحاد يتقدّمون من ذوي الزميل الراحل الشاعر عبد السلام المحاميد بأصدق التعازي سائلينَ المولى أن يلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

بين الحلم والذكرى

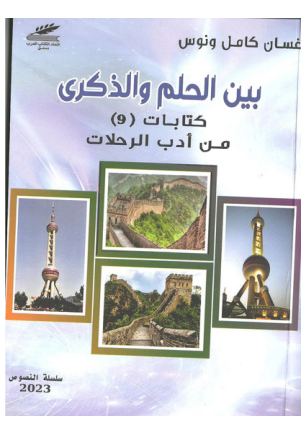

ضمن سلسلة النصوص من إصدارات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدر كتاب جديد للأديب غسان كامل ونوس حمل عنوان «بين الحلم والذكرى».

يضم الكتاب باقة من المقالات التي تضيء على الرحلات التي قام بها الأديب ونوس خلال مسيرته الأدبيّة؛ ويرصد أهم الوقائع والمشاهدات والعادات والمعالم والمظاهر مع معلومات وملاحظات وانطباعات متعدّدة ومتنوّعة في مختلف الشؤون والمجالات.

سجّل المؤلف بعض الوقائع أثناء السفر والإقامة، وبعضها الآخر تمّ تدوينه لاحقاً، بعد حين لم يطل مسترجعاً ما كان حلماً، وقد صار ذكرى؛ ومن هنا جاءت تسمية إحدى المقالات، ومن ثمّ الكتاب...

حزب البعث.. مراجعة نقدية في الفكر والتطبيق

في إطار التحضير للاستحقاق الحزبي خلال الأيام المقبلة، وإسهاماً منه في القيام بالدور الواجب القيام به، أقيم في اتحاد الكتاب العرب ظهر الثلاثاء ٢٠٢٤/١/١٦ جلسة حوارية مفتوحة تحت عنوان «حزب البعث.. مراجعة نقدية في الفكر والتطبيق» شارك فيها د. مهدي دخل الله عضو القيادة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس مكتب الإعداد والثقافة والإعلام، والباحث نبيل صالح.

وبحضور رسمي ودبلوماسي وإعلامي وثقافي كبير، استهل أ. توفيق أحمد نائب رئيس اتحاد الكتاب العرب الفعالية بكلمة قصيرة رحّب من خلالها بالسادة الحضور، مؤكداً أن واقع الحزب بحاجة إلى مراجعة، إذ إنه لا يُرضي الطموحات رغم ما تحقق من إنجازات كبيرة ومهمّة، فالحاجة ملحّة للتطوير والتحصين والتجديد والانتباه الشديد إلى متطلبات العصر واستحقاقات التنمية ومطالب الجماهير والحوار وقراءة الواقع من جديد وفق متطلبات الناس.

أدار الجلسة الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب الذي أشار إلى أولويات الحزب الراهنة وفق متطلبات المرحلة التي تمرّ بها سورية، مؤكداً أن النقاش والحوار يشكلان قيمة مضافة لهذه الجلسة الحوارية.

بدوره أكد الباحث نبيل صالح خلال كلمته أن قيادات البعث وقواعده باتت متفقة على التغيير والتحسين في بنية الحزب ومهامه الوطنية، فالحزب بحاجة الآن إلى استعادة وسمه المدني كممثل لحقوق ومصالح الفقراء والكادحين، ومدير ناجح لأعمال الصناعيين والمطورين والمستثمرين، وحاضن للنخب الفكرية والعلمية، عبر خطوات انتقالية مدروسة بالتشاركية مع الأحزاب والنخب الثقافية المستقلة، بحيث تستحق الجبهة الوطنية اسمها.

هذا وقد أكد د. مهدي دخل الله أن استمرارية أي حزب مرتبطة بقدرته على الراهنية وتجديد نفسه، مقدماً عرضاً مكثفاً لتجربة الحزب وتاريخه الطويل، حيث أثبت قدرته على التجديد والتعامل مع الذات لأن تغيير الواقع يحتاج إلى تغيير الذات.

وأشار إلى التغيرات التي مرّ بها الحزب بحسب المراحل والمعطيات، ومحطات الانتقال الفكري التي عبرها، مؤكداً أن الحزب في المرحلة الراهنة مع التنمية التي تطعم الفقير وتُنهي صراع الطبقات، ومشيراً إلى أن حركة التجديد الراهنة في الحزب، رغم قوتها، تبقى أقل مما هو مطلوب، وتحتاج إلى المزيد من العمل للوصول إلى الغاية المطلوبة.

شكلت مداخلات وأسئلة الحضور التي اختتمت بها الندوة إضافة كبيرة، وأغنت الموضوع وأضافت طروحات جديدة تستحق البحث والتدقيق بحيث شملت تاريخ الحزب منذ إنشائه حتى أيامنا هذه.

لقاء للأدباء الشباب في اتحاد الكتّاب العرب

بحضور د. محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب والسادة أعضاء المكتب التنفيذي، وضمن خطة اتحاد الكتاب العرب في التواصل مع جيل الشباب لاكتشاف إبداعاتهم والإضاءة عليها وصقلها وتقديمها بالشكل اللائق والصحيح، أقامت جمعية القصة والرواية في اتحاد الكتاب العرب لقاءً أدبياً للمبدعين الشباب تضمن شرح الأسس التي يتناولها الأديب في كتابة القصة والوسائل المعرفية التي يجب أن يتبعها للارتقاء بالموهبة.

أفسح اللقاء المجال لتبادل الآراء والخبرات وتقديم المشورة للشباب المشاركين بهدف مساعدتهم على تجويد نصوصهم وتصويب أخطائهم وتوظيف الأدوات المناسبة للتعبير عن مكنوناتهم، ما يسهم في إغناء الحركة الثقافية ورفدها بالدماء الشابة.

وشدّد د. محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب على أهمية هذه الفعاليات لاحتضان الشباب المبدع وصقل مواهبه والارتقاء بتجاربه لتكون أكثر رصانة وتماسكاً، من خلال تشجيعه على القراءة وتقبّل النقد البناء، مشيراً إلى أن إيجاد شخص يهتم بالقراءة والكتابة والثقافة بعد أعوام من الحرب التي مرت على بلدنا بظروفها القاسية ومأساويتها هو أمر مهم، يستوجب العناية والاهتمام لبناء جيل قادر على العطاء واعتلاء المنابر بكل ثقة.

كما أشار إلى ضرورة وجود الموهبة الأدبية عند الأديب الشاب حتى يتمكن من طرح نفسه كأديب، وبعد ذلك بمقدوره أن ينمي هذه الموهبة وفق المعارف التي يكتسبها تحدث أعضاء المكتب التنفيذي الذين حضروا اللقاء وعدد من الكتاب والمختصين بالحديث عن السينما وشخوص الرواية، بدوره، بيّن مقرر جمعية القصة والرواية أن اتحاد الكتاب العرب فتح باباً تفاعلياً مع الكتاب والمبدعين الشباب للمشاركة في اجتماعات موسعة مع الأدباء ومناقشة الحالة الإبداعية عند الجيل الجديد، وتنمية كل أشكال السرد الأدبية بما في ذلك كتابة السيناريو.

كما أكد أمين سر جمعية القصة والرواية بالاتحاد ضرورة الاهتمام بالمستوى الفني عند الشباب والتركيز على الجانب الثقافي والمعرفي من خلال المطالعة والاطلاع على ما ينمي الموهبة الإبداعية، وأوضح المشرف على ملتقى الشباب عضو اتحاد الكتاب العرب الأديب سامر منصور أنه ستتم مناقشة أشكال الإبداع في القصة والرواية، بهدف إثراء المشهد الثقافي والتركيز على الأدب في أساليب الخيال العلمي والأدب الساخر والأدب الرمزي وغيرها.

تأتي هذه الفعالية ضمن مشروع كبير طموح يتبناه اتحاد الكتاب العرب على امتداد جغرافية الوطن لاحتضان الشباب ودعم مواهبهم، وجمع الطاقات المتميزة من ذوي المواهب، وتنظيم العديد من ورشات العمل والدورات التدريبية المجانية المتعلقة بالكتابة الأدبية الإبداعية.

بتوقيت دمشق

ضمن سلسلة الرواية من إصدارات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدرت رواية جديدة للأديب مخلوف مخلوف حملت عنوان «بتوقيت دمشق».

رواية بمضامين وطنية وإنسانية عديدة يتقاطع فيها الشخصي مع العام، وتؤكد أن الإنسان هو بالمحصلة كائن اجتماعي لا يمكنه العيش منفرداً ومنعزلاً خارج المجتمع، بل ضمنه وبشكل تفاعلي وحيوي.

تعج الرواية بالشخصيات المطحونة برحى الحياة المرة، وهي تتنفس سموم الحرب وتعيش نتائجها المدمّرة، كما تتناول أزمة وباء «كورونا» بلغة رائقة تمكنت من نقل الأصداء والتأويلات والأعباء.

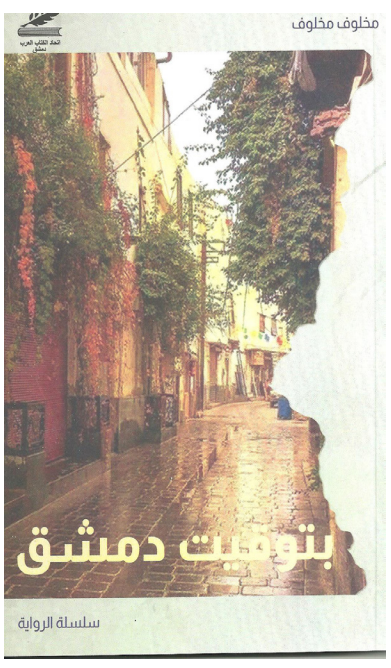

«معجم المؤلفين في محافظة حمص»

يتضمن كتاب «معجم المؤلفين في محافظة حمص» للأديب عيسى إسماعيل حياة الأدباء بمختلف أجناسهم وأشكال كتاباتهم في محافظة حمص من عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٢١، وذلك لتوثيق حياة الكتاب والحفاظ على تقديرهم عبر التاريخ لما قدموه من ثقافات مختلفة لبلادهم، وحرص إسماعيل في كتابه على أن يدرج كل من قام بالتأليف حتى ولو كان كتيباً صغيراً يمتلك وثيقة ثقافية خلال سبعين عاماً وأكثر، معتمداً التوثيق والدقة في المتابعة، وأشار إسماعيل في كتابه إلى ما ناله بعض المؤلفين من تكريمات قبل الموت أو بعده، أو تكريم من هم على قيد الحياة، ومنهم من نال تكريمات على غاية بالأهمية مثل أحمد أسعد الحارة وغيره، وشمل الكتاب مئتين وثلاثة وأربعين كاتباً وكاتبة، وقد صدر لهم قرابة ألف وأربعمئة كتاب، ويعدّ أول معجم في محافظة حمص يقدم سير المؤلفين ومعلومات مفصلة عن تحولات حياتهم وأنواع مؤلفاتهم وتاريخ صدورها، يذكر أن الكتاب من إصدارات دار الإرشاد ويقع في ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير ومؤلفه عضو اتحاد الكتاب العرب جمعية القصة والرواية، وله العديد من المؤلفات الأدبية، ونال تكريمات وجوائز منها جائزة توتول، وكتب في العديد من الصحف والدوريات.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1850» الأحد 2024/1/21م
- 9رجب 1445هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د.خلدون صبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د.أسامة الحمود- أ.رائد خليل -
د.ماجدة حمود - د.نزار بريك هنيدي -
أ.هيلانة عطاالله

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كتب: توفيق أحمد

العصافيرُ تأكلُ سنابلَ كَفِّي

ثَمَّةَ مَنْ يُصادرُ الحُبَّ
واضعاً العصيَّ في عَجَلاتِهِ الذهبية
أخْفَقَتِ القوى النقيضةُ في إضعافِهِ
وما زالَتْ تُشهرُ أسلحتَها الصَّدئةَ
في وجوهِ العشاقِ...
كمحاولةٍ لحَرْفِ مساراتِهِمُ الخضراءِ
نحو مزيدٍ من التصحُّرِ...
لتغدوَ الحياةُ أشْبَهَ بقَفْرٍ لا ماءَ فيه..
ما زال باستطاعتنا فعلُ الكثيرِ تُجاه أولئكَ التُّعساء
لدينا مُتَّسَعٌ من الوقت والعقل
لإزالةِ الغشاواتِ عن عيونهم
لمَسْحِ الغبارِ المتراكمِ في الأذهانِ والأرواح...
نريدُ أن نَنْفي تُهمةَ اللَّاحُبِّ عن عصرنا الذي نَحْياهُ..
هي مُهِمَّةُ القلوبِ المؤمنةِ بطاقةِ الحُبِّ
ومَنْ يستطعْ جَمْعَ الكواكبِ قلائدَ في جِيْدِ العاشقين
يُمكنهُ أن يشكّلَ علامةً فارقةً في وجهِ الزَّيفِ الذي نحياه
أنا موكبٌ من الأمطارِ على الأرضِ وأنتِ سيّدةُ المَواكب
هل لكِ أنْ تَرمي العابرينَ بالأزاهيرِ؟
هل لكِ أن تُنْشدي على مسامعهم أغنيةَ الحياة
أيتها المُعَتَّقَةُ في خوابي الوجدانِ والوجْدِ
القابضةُ على جَمْرِ الآهاتِ بأنامِلِ مَلاك؟
هل للحبِّ لونٌ واحدٌ؟ اعْتَبِريهِ سؤالَ الجاهلِ المُتَيَّم
سؤالَ العاشقِ المُحْتَرِقِ بنارِ حضورِكِ الطاغي
صحيحٌ أنّكِ الجناحُ النورانيُّ
الذي يحملني على صهوةِ جنونِهِ ويَمضي
أَلهذا يَستبدُّ بي الخوفُ كلّما مَضَيْتُ بعيداً في التِّيْهِ؟
أخافُ أنْ تأكلَ العصافيرُ سنابلَ كَفّي
ثَمَّةَ مَنْ يقولُ:
هي العصافيرُ إذا نَقَرَتْ أرواحَ العشاق
تَنْصُبُ خيمةً فيها
تُعِدُّ القهوةَ لأسرابٍ أخرى
هل لكِ أيتها العاشقةُ الطالعةُ مِنْ رغوةِ الحياة
أنْ تُبْلسمي جراحيَ المكابِرَةَ بِلَفْحِ طيبكِ
جراحي التي أَقْسَمَتْ على النّزيفِ الدائم؟
هَلْ للكروم البخيلاتِ في أمدائكِ
أنْ تَمْنَعَ نارَ الوجدِ عن الْتهامي؟
أخذني التيّارُ صوبَ امرأةٍ كانت تَبيعُ الوَرْدَ في حيّنا
لكنني ما لَبِثْتُ أنْ عُدْتُ إلى يُنبوعي
حيث تلويحةُ عينيكِ هما شراعي ومرفئي الأبدي
أعرفُ أنَّ لي نداءً لا تَسَعُهُ الجهاتُ السِّتُّ
لكنْ حدودُهُ تنتهي بكِ...
مَطَرُكِ المُبارَكُ يتأرجَحُ في برزخِ شرودي
حيث تُشْعلينَ شُموعَ أنوثَتِكِ وقَناديلَها..
أَتُراكِ تَخْشَيْنَ عليَّ من التلاشي في روائحِ مناديلِكِ؟
أنا النَّزَقُ العابثُ المُتْرَفُ بأغاني الرُّعاة
أنا الرافضُ الاحتواءَ؛ أشتهي النهاياتِ الرحيمةَ
يا لتلكَ الحديقةِ، تلكَ التي تَكْنُزُ كُلَّ ذكرياتنا السَّريّةِ
تَكْتُبُ بإيماءاتِ سَوْسَنِها
تواريخَ هبوطِنا الرخيِّ على مدارجِها..
هلِ انْتَبَهْتِ إليها؟
كم كانت تشتعلُ بفوضى وجودِنا العبثي
ناثرةً بِسَاطَها السُّندسيَّ
مِهاداً وَثيراً لأجسادنا المُشْبَعَةِ بنوايا الظِّلّ...
تلكَ الفوضى العاليةُ التي يُتْقِنُ فلسفةَ غُموضِها العُشَّاقُ وحْدَهم..
يُسَطّرونَ احْتراقاتِ أحلامِهِم على ظِلالِ مراياها...

أيتها البهيّةُ الشهيّةُ كسلامةِ ضوءٍ
أُخبرُكِ أنَّ أُمّي ازدادَ شقاؤها أكثرَ
في بحثِها عن مكانِ اختفائي
خلفَ جدرانِ الطَّيْفِ ولَهيبِ التنانيرِ

لقد أَخْبَرَها طيْرا عينيكِ
على احتمائي بكرومِكِ الظليلةِ...
وحتى أبي..
وهو الغائبُ في صلواتِهِ مدى عُمُرٍ من التعب
يَئِسَ مِنْ دعوتي لاتِّباعِ تعاليمِ طُقوسِه
هو يَعْلَمُ أنّي لن أَتَدَفّأَ إلّا بشموسِ عباءَتِكِ

وأنَّكِ كُلُّ عناويني المعلنةِ والمُخَبَّأةِ في سطورِ الزمن
يا أنتِ...
يا المُتَشَكِّلَةُ بي حَدَّ التماهي
يا خطئي وصوابي..
أخطائي جميلةٌ لأنّها بلونِ أحلامِ الجِنِّيات
وقوسِ قُزَحِهِنَّ المَطير
أخطائي جميلةٌ وزرقاءُ
لأنها سَرَقَتْ لونَ السماءِ مِنْ عينيكِ
وتَزَيَّتْ بقمصانِ الربيعِ لِتُبْهِجَ انتباهَتَكِ
لكِ أن تسكبي خَمْرَةَ زهورِها في أفواهِ الزهر
ليعلوَ صهيلُ المروجِ بأعلى ما تستطيع
حينَها سَتَنْهَضُ من تحت العُشْبِ
كُلُّ السعاداتِ الممكنةِ والمستحيلة
هي لا تَخْرُجُ إلاّ لتعودَ ثانيةً
في رحلةِ أَوْبٍ أَبَديٍّ لطقوسِ الولادةِ الظافرة
لِتَجِدَ أحضانيَ الحانيةَ بانتظارِها على أَحَرِّ الوجْدِ
هناكَ عالياً حيث يَكْمُنُ البهاءُ على قممِ جبالِنا المَهيبة
الريحُ هي مَنْ تَفيضُ على اللحظةِ وبُرْهانِها
لحظةِ السُّمُوِّ الباهي...
حيثُ الغيمُ لا يجدُ فكاكاً من أَكُفِّها العابثة
وهي تَقْبِضُ على جدائلِه
تَسْأَلُهُ هطولاً أكيداً
تذروهُ كما قَمْحُ الوديان...
هم آباؤُنا أيضاً شيوخُ هذي الجبال
وصيّادو وحْشَتِها ووُحُوشها
مَنْ رضعوا وأرضَعونا مِنْ أثداءِ تلكَ الغيوم،
صفاتِ البَذْلِ والعطاء...
ثُمَّ اكتفوا بترويضِها قانعينَ بقسمةِ الربّ
يا لذاكَ الريفِ البعيدِ القريبِ من قلبي..
ما زالَ قنديلَ الروحِ وتَوَهُّجَ شُعْلَتِه
يَسْتَقْدِمُ النجومَ القصيَّةَ
لِتَغْمُرَ قلوبَنا الصغيرةَ بصنوفِ الدَّهشة...
ويالَتلكَ المنازلِ على سفوحِ الجبال
وهي تُطِلُّ خَجولةً؛
لكنْ بمنتهى الصَّلابةِ أيضاً على سهولِ الحياة..
وتبقى علاقتُنا بعالمِ النَّحْلِ
ذاكَ العالمِ المُثيرِ للدَّهْشَةِ
بوَفْرةِ نظامِهِ وجَمالِ طَقوسِه
تبقى أكبرَ مِنْ أَنْ تَشْرَحَها الكلماتُ
وأَكْثَرَ شُهْرةً مِنْ علاقةِ المُغَنّي بمزاميرِه..
فَلْنَدْعُ للحقولِ والنواطيرِ والطفولاتِ الغائبة
أَنْ تَسْرُدَها بلسانِ الامتداحِ العظيم..
أَمّا أحلامُ أمهاتِنا الماهرات
فَلَنْ تستطيعَ كُلُّ معاجمِ الدنيا أن تفيهِنَّ حَقَّهُنَّ
كُنَّ متماهياتٍ في المَنْحِ حَدَّ الغيابِ بنا
ستبقى تلكَ المواسمُ واحاتٍ مطرَّزَةً بالأبهى
وستبقى تلكَ الأوراقُ الناحلةُ الصفراءُ
سِفْراً لتسطيرِ أوجاعِ طفولتِنا المهدورة...
فَلِمَنْ يودُّ القراءَةَ:
أرجوكم لا تَرْجُموها
برَميها إلى النسيانِ في بئرِ الماضي السحيق
بل انثروا عليها ما لَذَّ وطابَ من صنوفِ الأطياب

تَعالَيْ أيتُها القصيّةُ الدّانيةُ، القابعةُ في ملكوتِ الحُلُم،
لنقرأَ سويَّةً كتابَ الغَيْب
ونَدوِّنَ سطورَ الوجدِ بماءِ الذهبِ بين دفَّتَيْه
ولْنَبْقَ مخلصينَ للضوءِ والعطر
ولعينيكِ وحْدَهما...
سأُقْنِعُ كُلَّ العصافيرِ
أَنْ تَبني أعشاشَهَا في الظلالِ الوارفة
وكُلُّ الذين ضَلّوا السبيلَ إلى عليائِهم
سقطوا أَسْرى لَحْظِكِ المُبارَك